الماء النازل من السماء
في ضوء القرآن الكريم

د. سلمى بنت داود بن إبراهيم بن داود

د. سلمى بنت داود بن إبراهيم بن داود

- الأستاذ المساعد بقسم القراءات بجامعة أم القرى.
- حصل على درجة الماجستير من جامعة أم القرى بأطروحتها (تحقيق كتاب اللباس من التوضيح شرح الجامع الصحيح لابن بطال / ١٤١٩هـ).
- حصل على درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى بأطروحتها (ترجيحات أبي حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط / من أول سورة السجدة إلى آخر سورة الزمر / ١٤٢٩هـ)

المقدمة

الحمد لله القائل: ﴿ uqèdr ü%$!ÿ Ãíã\A$# .`Ï] ÷èt/ $B #qäÜZ% ß rã ÿYäç n Jôç‘ ¼mçG uqèdr ‘Ï9$# ßs‹Ïg ptø:$# ﴾[الشورى:٢٨]، والصلاة والسلام على القائل: **"مطرنا بفضل الله ورحمته"**(١)، وعلى آله، ومن تبعه على الهدى المستقيم.

ثم أما بعد:

فإن من أجل نعم الله تعالى على عباده أن خلق الماء، وأنزله لهم وأودع فيه حياة كل كائن، قال جل جلاله: ﴿ $Yt_r è `ÏB $J!$# ä@ä. »äó ©@r ﴾[الأنبياء:٣٠]، فعرش الرحمن على الماء، والإنسان جسده من الماء، والأرض عبارة عن كرة من الماء واليابس فيها الربع.

وموضوع البحث: الماء النازل من السماء، ودلالاته في القرآن الكريم، ينبئ عن مضمونه، فهو دراسة تفسيرية موضوعية جُمعت فيها الآيات التي ورد فيها ذكر الماء النازل من السماء.

وتأتي أهمية الموضوع في لفت الأنظار إلى دلائل التوحيد والألوهية، والربوبية، وعظمة الله تعالى في مخلوقاته، حيث انصرف كثير من المسلمين للتعلق بالأسباب المادية المتعلقة بالمطر، دون ربطها بالجانب الإيماني المذكور في القرآن والسنة، فالتدبر في هذا الآية الكونية (نزول المطر) له أهمية في زيادة إيمان المؤمنين، وفي إيمان غيرهم، لأن التقدم العلمي يكشف لنا عن تفاصيل تكوين هذا الماء، وكيفيته، وهو لا يعدو من لفت الأنظار إلى

(١) سيأتي تخريجه ص ٤٧.

الماديات فحسب، بينما هذه الآيات القرآنية هي العلم الشرعي، والحقائق الربانية المعتنية بالجسد والروح معاً، وبالجانب الحسي والمعنوي، فبه تحيا القلوب وتنار البصائر، وهو الطريق إلى الفلاح، وكل ما في الوجود شاهد على وجود الله، ومن ذلك هذا الماء النازل من السماء بأمر الله تعالى، حيث تهتز له الأرض وتحيا بعد موتها، ويستبشر به الإنسان، والحيوان، فيحي به الله تعالى القلوب، كما يحي به الأرض الميتة،. وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في آيات كثيرة.

وإن من أهم أسباب اختيار هذا الموضوع ما يأتي :

١ - قلة من كتب فيه، فأردت جمع ما تيسر لي من الآيات التي تدور حوله.

٢ - بيان عظمة الله تعالى في خلقه، وعظمته في كلامه سبحانه عن هذا الخلق العظيم (الماء).

٣ - بيان ما تضمنته الآيات من حكم.

وحتى ينهض البحث بالمهمة التي أنيطت به، ويحقق الهدف الذي يصبو إليه، فقد قسمته البحث إلى مقدمة، وسبعة مباحث، وخاتمة:

أما المقدمة فبينت فيها أهمية الموضوع، وسبب اختياره، وأما

المبحث الأول : فحول **أسماء الماء النازل من السماء**، ذكرتها حسب ترتيب السور ويتضمن :

١ - ذكر الاسم وموضع وروده في القرآن.

٢ - معنى الاسم، والمعنى الإجمالي للآية، أو الآيات.

٣ - ذكر ما يستفاد من الآيات .

٤ - الحكمة من تعدد هذه الأسماء.

والمبحث الثاني : أوصاف الماء النازل من السماء،ويتضمن ذكر الصفة والآيات التي وردت فيها، وهي عشر صفات- ذكرت الصفة المفردة أولاً، ثم قرنت بين الصفات المتشابهة ثانياً- : (مبارك)، و(أُكل + رزق) فالأكل فيه معنى الرزق، و(الغدق + الطهور) فالغدق فيه معنى الطهور، و(المنهمر + الثجاج+ المدرار) لأن المنهمر فيه معنى الثجاج، والمدرار، و(الفرات + غير الأجاج) لأن الفرات غير أجاج.

المبحث الثالث: أغراض نزول هذا الماء .

ويتضمن الآتي :

١ - **ضرب المثل به**، وذلك في مواضع:

أ- يضرب الله تعالى به المثل في المتصدق المنان، والمتصدق المبتغي رضى ربه.

ب- يضرب الله تعالى به المثل في زوال الحياة الدنيا.

ج- يضرب الله تعالى به المثل للحق والباطل.

٢ - **للنقم والعذاب**، ومن ذلك :

أ- إنزال المطر محنة وعذاباً وبلاء على قوم نوح على رسولنا ، وعليه الصلاة والسلام.

ب- إنزاله محنة وعذاباً وبلاء على قوم سبأ.

٣ - **للنعم والامتنان** ، ومن ذلك :

أ- إحياء الأرض بعد موتها.

ب- إخراج الزرع والرزق للعباد.

ج- سقيا وشراب للخلق.

د- التطهير والتثبيت.

المبحث الرابع : أماكن وجود هذا الماء ، ويتضمن :

١ - أماكن تواجد هذا الماء بعد نزوله.

٢ - الأماكن التي تنتفع من نزول الماء عليها واحتباسه فيها .

المبحث الخامس :أحوال العباد وقت نزول المطر، ووقت انحباسه، ويتضمن:

١ - بين القنوط والاستبشار.

٢ - بيان الآثار المترتبة من تكوين المطر ونزوله.

المبحث السادس: بيان مُنْزِل هذا الماء.

المبحث السابع : الأسباب الموجبة لنزول المطر:

الخاتمة : وقد جمعت فيها أهم نتائج البحث المستخلصة .

هذا وإنني أشكر الله تعالى أن أتم هذا البحث بفضله، فما هي إلا إلمامة ممن ترجو من مولاها التوفيق والسداد، وتسأله الهداية والرشاد، وتستغفره عن الخطأ والتقصير.

إنه نعم المولى ونعم النصير.

المبحث الأول: أسماء الماء النازل من السماء :

للماء النازل من السماء في القرآن الكريم عدة مسميات، كل منها تدل على معنى متغاير حسب السياق، وهي :

السماء، والصيب، والطل، والغيث،والمطر،والوابل، والودق، وسأذكرها حسب ترتيب سور القرآن .

أولاً : الصيب:

وقد ورد ذكره مرة واحدة في القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [البقرة :١٩].

معنى الصيب : المطر، والصيب الفَيْعِل من قولك: صَاب المطر يَصوب صَوبًا فهو صيب، إذا انحدَر وَنزَل، كما قال الشاعر[(١)]:

فَلَسْتُ لإِنْسِيٍّ وَلَكِنْ لِمَلأَكٍ... تَنَزَّلَ مِن جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ.

والقول بأن الصيب هو المطر مروي عن ابن مسعود، وابن عباس، وناس

---

(١) البيت غير منسوب في المفردات في غريب القرآن(١٤٥/١)، وذكر في لسان العرب (٤٤٩/٧) الاختلاف في نسبته، وفي الصحاح(٣٩٩/٢) هو لرجلٍ من عبد القيس جاهلي يمدح بعض الملوك.

من الصحابة، وأبي العالية، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعطاء رضي الله عنهم[١].

ومعنى الآية: ضرب الله تعالى في هذه الآية مثلاً لضرب آخر من المنافقين غير المذكور في الآية التي قبلها، وهم قوم يظهر لهم الحق تارة، ويشكّون فيه تارة أخرى، فقلوبهم في حال شكهم وكفرهم وترددهم ﴿كَصَيِّبٍ﴾،فحالهم كحالَ جماعة يمشون في العراء، فينصب عليهم مطر شديد، تصاحبه ظلمات بعضها فوق بعض، مع قصف الرعد، ولمعان البرق،والصواعق المحرقة، التي تجعلهم من شدة الهول يضعون أصابعهم في آذانهم؛ خوفًا من الهلاك. والله تعالى محيط بالكافرين لا يفوتونه ولا يعجزونه[٢].

ثانياً : الوابل:

وقد ورد ذكره ثلاث مرات في آيتين من سورة البقرة حيث ضرب الله تعالى به المثل للمنفق الذي يكون مناناً ومؤذياً ﴿ (qèÜ7èŸ (qãB#ä ûïÏ%©!$# $pkš‰r'¯»tƒ

Ûqk×ø9$# «!$$Î/ ßÏB÷sãƒŸwur Ä¨$¨Z9$# uä!$sÍ‘ ¼ã&s!$tB ß,ÏÿYãƒ “Ï%©!$%x. 3“sŒF{$#ur Çd`yJø9$$Î/ Nä3ÏG»s%y‰|¹ ¹

žw [٤] #$Ø©|¹ ¼çmŸ2ztIsù @Î/#ur ¼çm/$|¹r'sù Ò>#t•è? Ïmø‹n=tã [٣] Aºuqøÿ|¹ È@sVyJx. ¼ã&é#sVyJsù ÌÅzFy$#

---

(١)تفسير الطبري (١ / ٣٣٣)،وتفسير ابن كثير(١ / ١٨٩).

(٢) التفسير الميسر (١ / ٣٣).

(٣) ﴿ صَفْوَانٍ ﴾ اسم جنس جمعي واحد صفوانه كشجر وشجرة وهو الحجر الكبير الأملس ، مأخوذ من الصفاء وهو خلوص الشيء مما يشوبه . يقال : يوم صفوان أي صافي الشمس . الوسيط لسيد طنطاوي (١/ ٤٩٠).

(٤) الصلد : هو الشيء الأجرد النقي من التراب الذي كان عليه . ومنه رأس أصلد إذا كان لا ينبت =

@Br ÇìÎÈ ûïÎÿ»3$Pö)$ "‰ö ÿ ª! $ ‡qç¡ Ÿ2 $Ë ãó « 4?ã šc r&‰ö
¯_ @J. Ùg¹ ãR ô $•Î r « $ $Ê B ä$óG $ g9 qR šc qè ÿ ãûï‰$
ª! $ @Ù @Î#r $öÅ ãN© bî Éú ÿè $g=à2 é M?$«ù @Î#r $g/$ ¹ & ¯qö•Î
$JÎ ?è J è qb / Å•Î ﴾ [البقرة:٢٦٤-٢٦٥].

معنى الوابل:

- الوَبْلُ والوابِلُ المطر الشديد الضَّخْم العظيم القطْرِ. يقال : وبلت السماء تبل وبلا ووبولا اشتد مطرها[١]،فهو مطر عظيم القطر.

وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، والسدي، والضحاك.

والمعنى : يا أيها المؤمنون لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى فيكون مثلكم كمثل المنافق الذي ينفق ماله من أجل الرياء لا من أجل رضا الله ، وإن مثل هذا المنافق في انكشاف أمره وعدم انتفاعه بما ينفقه رياء وحباً للظهور مثل حجر أملس لا ينبت شيئاً ولكن عليه قليل من التراب الموهم للناظر إليه أنه منتج فنزل المطر الشديد فأزال ما عليه من تراب فانكشفت حقيقته وتبين للناظر إليه أنه حجر أملس صلد لا يصلح لإنبات أي شيء عليه، فالتشبيه في الآية الكريمة بين الذي ينفق ماله رياء وبين الحجر الكبير الأملس الذي عليه شيء من التراب ستر حاله، ثم ينزل المطر فيزيل التراب

= شعراً ، والأصلد الأجرد الذي لا ينبت شيئاً مأخوذ من صلد يصلد صلدا فهو صلد .المرجع السابق.

(١) لسان العرب (١١/ ٧١٨).

وتنكشف حقيقته ويراه الرائي عارياً من أي شيء يستره، وكذلك المنافق المرائي في إنفاقه يتظاهر بمظهر السخاء أمام الناس ثم لا يلبث أن ينكشف أمره لأن ثوب الرياء يشف دائماً عما تحته، وإن لم يكشفه فإن الله كاشفه(١).

ثالثاً: الطل:

وقد ورد ذكره مرة واحدة في ضرب المثل لعمل المؤمن الذي ينفق ماله ابتغاء مرضاة الله، فليس لخيره خُلْف، كما ليس لخير هذه الجنة خُلْف على أيّ حال ينزل فيها المطر، إمَّا وابلٌ، وإمّا طلّ. قال الله تعالى:﴿ ûïÏ%©!$ ã@sWBr

ãqè=Ï ÿ_ ãèV J. öNgAÅãR& ôÏB $Y•Î7÷Vs?r «!$ ÅV $|Ê ötB âä!$óÏGö/$ Nßgs9ºuqBr& šcqà)ÏÿYã

$JÎ ª! $r @@Üù ®Î#r $köù©A ãNó©bÎù Éú üyèÅ $ygn=à2 éM?$«ù ®Î#r $ygn/$|¹ &

?î•Ã / bqè=Jè? ﴾[البقرة:٢٦٥].

معنى الطل:

الطَّلُّ المَطَرُ الصِّغارُ القَطر الدائمُ وهو أَرْسخُ المطر نَدًى، قال ابن سيده: الطَّلُّ أَخَفُّ المطر وأَضعفه ثم الرَّذاذُ ثم البَغْش وقيل هو النَّدى وقيل فوق النَّدى ودون المطر وجمعه طِلالٌ(٢). قال ابن عباس وغيره: هو المطر الضعيف المستدق من القطر الخفيف، وهو مشهور اللغة(٣)،وهو الرَّذَاذ اللين من المطر، وهو مروي عن الضحاك(٤).

---

(١) تفسير النسفي (١ / ١٣٤).
(٢) لسان العرب (١١ / ٤٠٥).
(٣) تفسير القرطبي (٣ /٣١٧).
(٤) تفسير ابن كثير (١ / ٦٩٥).

والمعنى : أن هذه الجنة لطيبها وكرم منبتها تزكو وتثمر كثر المطر النازل عليها أو قل فكذلك نفقة المؤمنين المخلصين تزكو عند الله وتطيب كثرت أو قلت، لأن إخلاصهم فيها جعلها عند الله تعالى مضاعفة نامية، ثم ختم سبحانه الآية بقوله : ﴿**والله بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير**﴾ أي أنه سبحانه عليم بأحوال عباده لا تخفى عليه خافية وسيجازي المخلصين بما يرضيهم كما سيجازي المنانين والمرائين بما يستحقون، ففي الآية الكريمة ترغيب وترهيب ووعيد[1] .

ما يستفاد من الآيات :

١ - تدبر كيف أن القرآن الكريم قد ساق - في هذه الآية وسابقتها - حالتين متقابلتين : حالة الذي يبطل صدقته بالمن والأذى والرياء، ومآله وعاقبته. وحالة الذي ينفق ماله طلباً لرضا الله وتعويداً لنفسه على فعل الطيبات ومآله ومصيره عند العليم الخبير. ولقد صور القرآن هاتين الحالتين تصويراً مؤثراً بديعاً، من شأنه أن يهدي العقلاء إلى فعل الخيرات ، وإخلاص النيات ، واجتناب السيئات[2] .

٢ - بيان بركة آثار المطر؛ لقول الله تعالى: ﴿ ù«$?M éé 2à=g$ Æèÿü úÉ ﴾؛ ولهذا وصف الله المطر بأنه مبارك في قوله تعالى: ﴿ rR'ø$Z ̈B `$9 ¡¡J $ä B$ã B6»•Z% ù'Ρ;G$Z Î¾ïn _Z»M rm =$øt ÅŠ‰ï ﴾ [ق~: ٩] .

(١) تفسير القرطبي (٣ / ٣١٧)، تفسير الرازي (٣ /٤٩٧).

(٢) الوسيط لسيد طنطاوي (١ / ٤٩٤).

٣ - بيان ما للنية من تأثير في قبول الأعمال؛ لقوله تعالى: ﴿Åz Ï©$Ï¡ó$ä ®B Ê$ VÅ

$ ï» ﴾ وأن عمل المؤمن لا يبور أبدًا، بل يتقبله الله ويكثره وينميه، كل عامل بحسبه[١].

رابعاً : المطر:

وقد ورد ذكره في موضعين في القرآن الكريم :

١ - في سورة النساء إذ جعل نزوله سببا ورخصة لوضع السلاح في صلاة الخوف، قال الله تعالى: ﴿r Î)Œ#ä ZM |Žî ÍN 'ù%ð ÍM |9ø¤ Ó=ö4 ¨ ûÏtÏ ÅÌ}Î

`B Nä3Ï ÷è7 r ×±Ï# zãä Ïà%s Îö# ÍNÏù #™ ÚÏ$ r ¨q»Šçyq{ `Bù

r‘ ÏN 6à Ï $ Ïèôr 'ä• "2 9¢Ñô q•Á ùtà q•Á 7èB Ï$ r{ Ï$ èr

Ï$ á ‘öã Ï$ r #ãè sïÏ# ÏŠ$ ©#¢ ‹ `. ÏŠ$ Ï Ï$ Ïä? ÒqÿöÏÇ c š ã ô #ãè sïÏ

b%. bÎ) Ï$ 6 ø ã y$Ÿã Ÿr #ä%ÏhÏ°r Ï#øB Nà6 ø æ bqè=ÏŠù ÈcÉÏ

Ï$ ‘öã Ï$ r{ Ï$ #ãè sïÏ Ï$?qãÃ ? b& ß ì ®B Nç äÏ $ `B " Ï& Ï$ Ï

©$ b) Ï&ã ‹ ûÏï 3 ÿ %ãä ©$ b) ã $#Ï Ï Ï$ ÆB Ï$ ×. Ï ?ã$?(

b) Ï$ 6 ø öÏ%#ãè sïÏ ‘ÎRÇÏŠ$#ù ÏŠ$ b) ÏŠ$ ãã ?ã r #Ÿ ãè r $V»Ÿ%

9$ ©$ ã $#ô . ®R%. ?ã $' ÏŠ$Ï ïÏ üš ú Ï $ #ÆB ?ä$ %$﴾ [النساء:١٠٢].

المعنى الإجمالي :

إنه إن تعذر حمل السلاح إما لأنه يصيبه بلل المطر فيسود وتفسد حدته، أو لأن من الأسلحة ما يكون مبطناً فيثقل على لابسه إذا ابتل بالماء،

(١) تفسير القرآن لابن عثيمين (٥ / ٢٦٠).

أو لأجل أن الرجل كان مريضاً فيشق عليه حمل السلاح، فهاهنا له أن يضع السلاح، مع التَّيَقُّظ والحذر؛ لِئَلاَّ يَهْجُم العدو عليهم(١) .

ما يستفاد من الآيات :

- إنّ الأمور بمقاصدها وما يحصل عنها من المصالح والمفاسد، حيث جعل ما هو أكمل في أداء الصلاة رخصة في الخوف،فرخص في وضع الأسلحة عند المشقة ولذا قيّدت الرخصة مع أخذ الحذر(٢)، فحمل السلاح في هذه الحالة يشق ، ولا يفيد . ويكفي أخذ الحذر؛ وتوقع عون الله ونصره(٣) .

٢ - في سورة الأحقاف، وذلك أن قوم عاد لما رأوا العذاب الذي استعجلوه عارضًا في السماء متجهًا إلى أوديتهم قالوا: هذا سحاب ممطر لنا، فقال لهم هود عليه السلام: ليس هو بعارض غيث ورحمة كما ظننتم، بل هو عارض العذاب الذي استعجلتموه، فهو ريح فيها عذاب مؤلم موجع، قال الله تعالى :﴿ $£=ù ‘ &rçq ÍæÍ Ê$Z B óG)Î ì@Ÿ &šrÉEÎ ÍlÎ

%$$qè9 #d»<Ÿ æÍ Ú ÜÎä $R 4 ö/@ qèd B$ $OèGù=f èùÎ/ ¾m(Lìƒ ŠkÏù $ã ãx< ëè& 9ÒL

﴾ [الأحقاب :٢٤].

المعنى الإجمالي :

قال المفسرون كان المطر قد حبس عن عاد فساق الله إليهم سحابة

---

(١) تفسير الرازي (٥ / ٣٦٤).

(٢) التحرير والتنوير (٤ / ٢٤).

(٣) في ظلال القرآن (٢ / ٢٢٩).

سوداء فلما رأوها فرحوا و قالوا هذا عارض ممطرنا، فقد كانوا في حاجة إلى المطر فقال لهم هود -عليه الصلاة والسلام- بل هو ما استعجلتم به ثم بين ما هو فقال ريح فيها عذاب أليم فنشأت الريح من تلك السحابة تدمر كل شيء أي تهلك كل شيء مرت به من الناس والدواب والأموال قال عمرو بن ميمون لقد كانت الريح تحتمل الظعينة فترفعها حتى ترى كأنها جرادة فأصبحوا - يعني : عادا - لا يرى إلا مساكنهم[١] .

ومما يستفاد من هذه الآية أنه :

ينبغي توقي الحذر عند رؤية الغيم،أو الريح، والمسارعة إلى التوبة والاستغفار، وطلب الرحمة من الله تعالى،وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه و سلم قالت :" **ما رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم ضاحكا حتى أرى منه لهواته إنما كان يبتسم قالت : وكان إذا رأى غيما أو ريحا عرف في وجهه قالت : يا رسول الله الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وأراك إذا رأيته عرف في وجهك الكراهية ؟ فقال : يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا**"[٢].

خامساً : الغيث:

وقد ورد ذكره في أربعة مواضع في القرآن الكريم :

(١) زاد المسير (٧ / ٣٨٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب سورة حم (٤٥٥١)(٤/١٨٢٧)، وصحيح مسلم كتاب الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم (٨٩٩)(٢/٦١٦).

١ - تارة يأتي للبشارة به بعد الجدب وإدخال المسرة والأمل بعد الكلام المؤيس ، وهو من لازم انتهاء مدة الشدة، ومن سنن الله تعالى في حصول اليسر بعد العسر قال الله تعالى:﴿ §Ne ’ÎÛ ` .B /è‰ ŒÏ9º 7 ¾æR ŠÏù šÏ ã$¡S$# ŠÏùur ã¨ $Z9$# ßS$óó„ brÇÊÒ ﴾ [يوسف:٤٩].

٢ - وتارة يبين سبحانه أنه ينزل الغيث في الأوقات التي جعلها معينة لإنزاله ولا يعلم ذلك غيره سبحانه، فهي من مفاتيح الغيب الخمس(١) قال الله تعالى :﴿ b̈Î) ©! $# ¼çnY‰Ïã ãNù=Ïæ Ïp¡$ ãt6$# ãA̓i t∖ãƒur]ø‹tóø9$# ãNn=÷ètƒur $tB Îû ’ÎûÑ$# ($tBur “Í‘ô‰s? Ó§øÿtR #Œ$¨B Ü=Å¡õ3s? #Y‰xî ($tBur “Í‘ô‰s? 8§øÿtR Ädr'Î/ <Úö‘r& ßNqßJs? 4 ¨bÎ) ©! $# íOŠÎ=tæ 7Ž Î6yz ﴾ [لقمان: ٣٤].

٣ - وتارة يمتن على عباده بإنزاله من بعد إياس الناس من نزول المطر، ينزله عليهم في وقت حاجتهم وفقرهم إليه ﴿ uqèdur “Ï%©!$# ãAÍi”t∖ã]ø‹tóø9$# .` ÏB Ï‰÷èt/ $tB (#qäÜuZs% çŽà³Zt ƒur ¼çmtGuH÷qu‘ 4 uqèdur ’Í<uqø9$# ߉‹ÏJptø:$# ﴾ [الشورى:٢٨].

٤ - وتارة يضرب الله تعالى بآثاره المثل للحياة الدنيا محقراً، وموهناً لأمرها، يقول الله عز وجلّ:﴿ (#þqßJn=ôã$# $yJ¯Rr& äo4qu‹ysø9$# $u‹÷R‘‰9$# Ò=Ïès9 ×qôgs9ur ×puZƒÎ—ur 7ä$sƒ$xÿs?ur öNä3oY÷t/ Ö èO%s3s?ur ’Îû ÉA¨uqøBF{$# ω»s9÷rF{$#ur (È@sVyJx. B]øxî |=yfôãr& u‘$¤ÿä3ø9$# ¼çmè?$t6tR §NèO ßkÍku‰ çm1uŽtIsù #vxÿóÁãB §NèO ãbqä3tƒ $VJ»sÜãm (Îûur ÍotÅzFy$# Ò>#x‹tã Ó‰ƒÏ‰x© ×otÏÿøótBur z`ÏiB «!$#

---

(١) قال البقاعي :" عبر بالجملة الفعلية للدلالة على التجدد فقال : ﴿ وينزل الغيث ﴾ بلام الاستغراق القائمة مقام التسوير ب « كل » وقد أفاد ذلك الاختصاص بالعلم بوقته ومكانه ومقداره وغير ذلك من شؤونه ، فإن من فعل شيئاً حقيقة لم يعلم أحد وقت فعله وقوعه إلا من قبله . نظم الدرر (٦ /٣٦٧).

$ «! r Í Êqb°b rB$$%s ‹4ä$!$R‹$)vž BF»ß$%äãr Í﴾ [الحديد: ٢٠].

معنى الغيث :

في اللغة: المطر، والكَلأُ، وقيل : الأَصل المطر، ثم سُمِّي ما يَنْبُتُ به غَيْثاً، وغاثَ الله البلاد يَغيثُها غَيْثاً وغيثَتِ الأرضُ تُغاثُ غَيْثاً، فهي أرض مَغيثَةٌ ومَغْيوثَةٌ [(١)].ومعنى (يغاث): قال أبو حيان :"، وقال ابن عباس ومجاهد والجمهور : يغاث من الغيث ، وقيل : من الغوث ، وهو الفرج . ففي الأول بني من ثلاثي ، وفي الثاني من رباعي ، تقول : غاثنا الله من الغيث ، وأغاثنا من الغوث"[(٢)].

الغيث عند المفسرين : المطر[(٣)].

- لماذا سمي المطر غيثا؟

الغيث : المطر، وسمي المطر غيثا لأنه يغيث، فإن في نزول المطر إنقاذاً للعباد والبلاد من الهلاك[(٤)].

- الفرق بين الغيث والمطر :

والغيث ما كان نافعا في وقته، والمطر قد يكون نافعا وضارا في وقته

---

(١) لسان العرب (٢ / ١٧٥)، و الصحاح في اللغة (٢ / ٢٩).

(٢) تفسير البحر المحيط (٧ / ٢٧).

(٣) وهو مروي عن ابن عباس،و قتادة، والضحاك،ومجاهد. تفسير الطبري (١٦ /١٢٩).

(٤) قال ابن السكيت يقال :" غاث الله البلاد يغيثها غيثاً إذا أنزل فيها الغيث وقد غيثت الأرض تغاث ، وقوله : ﴿ **يُغَاثُ النَّاسُ** ﴾ معناه يمطرون ، ويجوز أن يكون من قولهم : أغاثه الله إذا أنقذه من كرب أو غم ، ومعناه ينقذ الناس فيه من كرب الجدب". تفسير الرازي (٩ / ٥٣).

وغير وقته[1]، قال ابن عيينة :" ما سمى الله مطرا في القرآن إلا عذابا، وتعقب بقوله تعالى:﴿ @ÙB `Ï “ ]E& Nãî b%. bÎ Nà6 øã y$Yã Wr ﴾، وتسميه العرب الغيث" كما قال الله تعالى : ﴿ ‰è/ .`Ï] ø6ô$Af\ã “ ‰q$èd r ﴾ $B ‰qäZ% ¤q Yƒ r ž¨ã ‘ôJû G¼çµ ﴾[2].

المعنى الإجمالي :

الآية الأولى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذلك﴾ ثم بشرهم بعد الجَدْب العام المتوالي بأنه يعقبهم بعد ذلك ﴿ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّـاسُ﴾ أي: يأتيهم الغيث، وهو المَطرُ، وتُغل البلاد، ويَعصرُ الناس ما كانوا يعصرون على عادتهم، من زيت ونحوه، وسكر ونحوه حتى قال بعضهم: يدخل فيه حلب اللبن أيضًا[3].

ما يستفاد من الآيات :

١ - أن العسر يعقبه يسر.

٢ - الإفادة بأكثر مما سألوا، وهذا الجواب لم تدل عليه الرؤيا وإنما هو مما علّمه الله تعالى يوسف فأفادهم به من غير ما سألوه ذلك إحساناً منه ولحكمة عالية أرادها الله تعالى، وهو الحكيم العليم .

الآية الثانية : يخبر تعالى أنه المنفرد بعلم غيب السماوات والأرض فهذه الغيوب ونحوها اختص الله بعلمها فلم يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل، وإذا كان هو المنفرد بعلم ذلك المحيط علمه بالسرائر والبواطن

(١) النكت والعيون (٦/٦٩)، تفسير القرطبي (١٦ /٢٩).

(٢) ينظر: مقدمة فتح البارى (١ /٣٦٦)، والتحرير والتنوير (١ / ٦٩).

(٣) تفسير ابن كثير (٤ / ٣٩٣).

والخفايا فهو الذي لا تنبغي العبادة إلا له"[١].

الآية الثالثة : ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنزلُ الْغَيْثَ﴾ أي: المطر الغزير الذي به يغيث البلاد والعباد، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ وانقطع عنهم مدة ظنوا أنه لا يأتيهم، وأيسوا وعملوا لذلك الجدب أعمالا فينزل الله الغيث ﴿وَيَنْشُرُ﴾ به ﴿رَحْمَتَهُ﴾ من إخراج الأقوات للآدميين وبهائمهم، فيقع عندهم موقعا عظيما، ويستبشرون بذلك ويفرحون. ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ﴾ الذي يتولى عباده بأنواع التدبير، ويتولى القيام بمصالح دينهم ودنياهم. ﴿الْحَمِيدُ﴾ في ولايته وتدبيره، الحميد على ما له من الكمال، وما أوصله إلى خلقه من أنواع الإفضال"[٢].

ما يستفاد من الآيات :

١- تعديدُ نِعَمِ اللهَّ تعالى الدَّالَّةِ على وَحْدَانِيَّتِهِ ، وأَنَّه المولى الذي يستحقُّ أَنْ يُعْبَدُ دونَ ما سواه من الأنداد.

٢- إن اللفظ القرآني المختار للمطر ﴿الغيث﴾ فيه تلبية المضطر في الضيق والكربة.

٣- إن التعبير عن آثار الغيث . . ﴿ ¼çGJôn‘ ǯàY/fr ﴾ فيه الفرح، والسرور، التي تنشأ فعلاً عن تفتح النبات في الأرض وارتقاب الثمار . وما من مشهد يريح الحس والأعصاب ، ويندّي القلب والمشاعر ، كمشهد الغيث بعد الجفاف . وما من مشهد ينفض هموم القلب وتعب النفس

(١) تفسير السعدي (١ / ٦٠٨).

(٢) تفسير السعدي (١ / ٧٥٨).

كمشـهد الأرض تتفـتح بالنبـت بعـد الغيـث وتنـتشي بـالخضرة بعـد الموات.

الآية الرابعة: المعنى: أن الحياة الدنيا كالزرع يعجب الناظرين إليه لخضرتـه بكثرة الأمطار، ثم لا يلبث أن يصير هشيما كأن لم يكن، وإذا أعجب الزراع فهو غاية ما يستحسن، كذلك الدنيا، بينما هي زاهية لصاحبها زاهرة، مهـما أراد من مطالبها حصل، ومهما توجه لأمر من أمورها وجد أبوابـه مفتحـة، إذ أصابها القدر بما أذهبها من يده، وأزال تسلطه عليها، أو ذهب بـه عنهـا، فرحل منها صفر اليدين، لم يتزود منها سوى الكفن، فتبا لمن أضـحت هـي غاية أمنيته ولها عمله وسعيه[1].

ما يستفاد من الآيات :

هـذا المثـل دالا عـلى زوال الـدنيا وانقضـائها وفراغهـا لا محالـة، وأن الآخرة كائنة لا محالة، ففيه تحَذّير من أمرها وترغّيب فيما فيها من الخير.

سادساً : الودق :

جاء ذكره في القرآن الكريم في موضعين هما:

١- تارة يلفت به الأنظار إلى كيفية نزوله لبيان عظيم قدرة الله تعـالى، وأنـه المعطـي المـانع لـه، قـال الله تعـالى ذكـره: ﴿ ÓÅ"ã©$Ñ ? Ó9& Ñê$X$tž

`Ë ÅÍ\ãr ¾ÏÎ»=Å ôË ß ãø šX ðq9$ " ŽÏù $Ÿ. â¼ãè ø Ñê¼çZ÷/ ß# Ïsã

ã$±„ `B `ã ¼çÏÇ ƒr ã$±„ `B ¾ÏÎ Ü šÅ ãû Ÿ•/ .`Ë $kŽÏù Å$7Å `Ë ä$K¡¡ 9$

(١) تفسير القرطبي (١٧ /٢٥٥)، وتفسير السعدي (١ /٨٤١).

ß‰3ƒ $Z™ ï‰ö/ ¾ÏmÏ‰ ƒ Ïd Ü $¯ ÇÚö‘F Á »Ï ﴾ [النور:٤٣].

٢- وتارة يمتن على العباد بنزوله، ويجعله سببا لنشر رحمته، قال الله جل وعلا: ﴿ $¯ªG ‰ï " $¯ãÆ‰$yÎ x »ƒ ùçÏ¾ ™ s X ùxÏ6 Ý ß©ç¼Î ’ $9 ¡J$ä .ø #

ä$±„ r ø‰è¯ ¼ Ï¡ ¾ $Y ùÎ " ß‰$qö ß- öÏtã ß ôB ß»=ÎÅ ¾ÏmÏ ùÆ Œ#¯ & ¹ $ < ¾ÏmÏ B ` „±$ä

ß ô ä7$Š ¯ÍŠ #Œ ãÏ „óÏÇ ¯Åžr ÇÍÑÈ bÎ)r ™.‰ßq è `B ™ß6Ï ä b\"A ã¯žßÏ ôO ß `

Ïr#Ïîî ¾9 ß#Îã Å ü ú š ÇÍÒÈ ßö R$¯ # ÏO< # ä0»Ï ‘ q ‰ H M$ £ 2ö# ø ä$ÇtÏ$ ÑöF Ú /è‰%

ßq Ïè ÏR$Ç # ŒÏ ¾9$ •š ÇÍÒÈ bÎ) 9ãÏÇ$JÏ ö‹A 4 q Ïd r 4 ã? ä@ ä « ‰ó ßÏ ‰%Ï ÇÍÌÈ r ÏÕÏÞ ä ù %$ ™ÜÏ $Z

ƒ†t$ ù•&Ïç q ÏA Ž‰ ÷£‰ô ¯ Ïî . ß `Ï è‰%Ï ¾ÏmÏ ƒ ßÏÕ r b ﴾[الروم:٤٨].

وفي الموضعين إشارة إلى عظيم قدرة الله تعالى، وبيان لوحدانيته، ولفت الأنظار إلى تساقط المطر من خلال السحاب إثرَ تراكمِه وتكاثفِه.

معنى الودق:

في اللغة: الودق: مصدر ودق السحاب يدق ودقاً، ومنه استودقت الفرس[1]، ويقال للحرب الشديدة ذاتُ وَدْقَيْنِ تشبيهاً بسحاب ذات مطرتين شديدتين[2]، وقال الراغب الأصفهاني :"الودق:قيل: ما يكون من خلال المطر كأنه غبار، وقد يعبر به عن المطر. قال تعالى: ﴿ ùÎ " $¯qöß‰ Xš ß- öÏtã ß ôB ß»=ÎÅ ¾ÏmÏ ﴾ [النور/٤٣] ويقال لما يبدو في الهواء عند شدة الحر وديقة، وقيل: ودقت الدابة واستودقت، وأتان وديق وودوق: إذا أظهرت رطوبة

(١) تفسير البحر المحيط (٨ /٣٠١).

(٢) لسان العرب (١٠ / ٣٧٢).

عند إرادة الفحل، والمودق: المكان الذي يحصل فيه الودق"(١).

معنى الودق عند المفسرين :

في " الودق " قولان: أحدهما - أنه البرق،ومنه قول الشاعر(٢):

أَثَرنَ عَجاجةً وخرجنَ منها ٠٠٠ خروجَ الوَدْق من خلَلِ السَّحابِ(٣).

الثاني : الودق : المطر كُلُّه شديدُه وهيِّنُه وضعيفه.

قال الشاعر(٤) :

فلا مُزْنةٌ ودَقَتْ ودْقَها ... . وَلاَ أَرْضَ أَبْقَلَ إبْقَالَهَا

وقال امرؤ القيس (٥) :

فدمعُهما وَدْقٌ وسَحٌّ ودِيمَةٌ ... وسَكْبٌ وتَوْكَافٌ وتَنْهمِلانِ

(١) مفردات ألفاظ القرآن (٢ / ٥٠٠)، وقال ابن فارس في مقاييس اللغة (٦ / ٧٢):"(ودق) الواو والدال والقاف: كلمةٌ تدلُّ على إتيانٍ وأَنَسَة. يقال وَدَقْتُ به، إذا أنِسْتَ به وَدْقاً. والمَوْدِق: المأتَى والمكان الذي تقِفُ فيه آنِساً. ومَوْدِق الظَّبي: المكان يقِف فيه إذا تناوَلَ الشَّجرة، ومنه قوله: تُعفّي بذيل المِرْط إذ جئتُ مَوْدِقي
ومنه أتَانٌ وَدِيقٌ، إذا أرادت الفحل، وبها وِدَاقٌ كأنَّها تأنس إليه وتستأنسه. والوَدْق: المَطَر، لأنَّه يَدِقُّ، أي يجيء من السَّماء".

(٢) نسبه أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢/٦٨) لزيد الخيل، وجاء الشطر الأول فيه : ضربن بغمرة فخرجن منها.

(٣) تفسير القرطبي (١٢ / ٢٨٨)، وفيه نسب القول لأبي الأشهب العقيلي.

(٤) هو عامربن جوين الطائي، والمزنة: واحدة المُزْن، وهي السحابة البيضاء، وأبقلَ: أي : نبت بقلُه. وخزانة الأدب (١/٤٥).

(٥) ديوان امرئ القيس (٨٨)، وفيه : سكب، بدل: ودق، ورشٌّ، بدل: وسكب، قال شارح الديوان: معنى قوله: فدمعهما سكب: شبه توالي دموعه بضروب الأمطار، والسحُّ: الصبُّ الشديد، والسَّكْب نحوه، والدِّيمة: مطر دائم في ليل، والتَّوكاف: القليل من المطر.

يقال : ودَقَتِ السحاب فهي : وَادِقَةَ ، وَوَدَقَ المطر يَدِقُ أي : قَطَرَ يَقْطُرُ .
وهو مروي عن ابن زيد، ومجاهد[١]، والضحاك[٢]،والليث[٣]،وهو قول جمهور المفسرين[٤].

قال ابن عاشور:" وأكثر المفسرين على أن الودق هو المطر ، وهو الذي اقتصرت عليه دواوين اللغة ، والمطر يخرج من خلال السحاب"[٥].

المعنى الإجمالي:

- قال السعدي في معنى آية النور : " أي: ألم تشاهد ببصرك، عظيم قدرة الله، وكيف ﴿يُزْجِي﴾ أي: يسوق ﴿سَحَابًا﴾ قطعا متفرقة ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ﴾ بين تلك القطع، فيجعله سحابا متراكما، مثل الجبال﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ أي: الوابل والمطر، يخرج من خلال السحاب، نقطا متفرقة، ليحصل بها الانتفاع من دون ضرر، فتمتلئ بذلك الغدران، وتتدفق الخلجان، وتسيل الأودية، وتنبت الأرض من كل زوج كريم، وتارة ينزل الله من ذلك السحاب بردا يتلف ما يصيبه﴿فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ﴾ بحسب ما اقتضاه حكمه القدري، وحكمته التي يحمد عليها، ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ﴾ أي: يكاد ضوء برق ذلك السحاب، من شدته ﴿يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾

(١) تفسير الطبري (١٩ / ٢٠٢)، بلفظ: القطر، الدر المنثور (٧ / ٣١٢).
(٢) النكت والعيون (٣ / ٣٢٦)،الدر المنثور (٧ / ٣١٢).
(٣) زاد المسير (٤ / ٤٥٢).
(٤) فتح القدير (٥ / ٢٣٣).
(٥) التحرير والتنوير (١٠ / ٦).

أليس الذي أنشأها وساقها لعباده المفتقرين، وأنزلها على وجه يحصل به النفع وينتفي به الضرر، كامل القدرة، نافذ المشيئة، واسع الرحمة؟"[1].

- وقال الشنقيطي – رحمه الله تعالى - :" فصرح - تعالى ذكره - بأن الودق الذي هو المطر يخرج من خلال السحاب الذي هو المزن ، وهو الوعاء الذي فيه الماء وبين أن السحابة تمتلئ من الماء حتى تكون ثقيلة لكثرة ما فيها من الماء في قوله تعالى :﴿حتى إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾[الأعراف : ٥٧] الآية فقوله : ثقالاً جمع ثقيلة ، وثقلها إنما هو بالماء الذي فيها وقوله تعالى :﴿وَيُنْشِىءُ السحاب الثقال﴾[الرعد : ١٢] جمع سحابة ثقيلة

وهذه الآيات القرآنية تدل على أن الله يجمع الماء في المزن، ثم يخرجه من خلال السحاب وخلالُ الشيء : ثقوبه وفروجه التي هي غير مسدودة، وبين جل وعلا أنه هو الذي ينزله ويصرفه بين خلقه كيف يشاء ، فيكثر المطر في بلاد قوم سنة، حتى يكثر فيها الخصب وتتزايد فيها النعم ، ليبتلي أهلها في شكر النعمة ، وهل يعتبرون بعظم الآية في إنزال الماء. ويَقِلُّ المطر عليهم في بعض السنين، فتهلك مواشيهم من الجدب ولا تنبت زروعهم، ولا تثمر أشجارهم، ليبتليهم بذلك، هل يتوبون إليه ، ويرجعون إلى ما يرضيه .

وبين أنه مع الإنعام العام على الخلق بإنزال المطر بالقدر المصلح

(١) تفسير السعدي (١ / ٥٧).

وإسكان مائه في الأرض ليشربوا منه هم، وأنعامهم، وينتفعوا به أبى أكثرهم إلا الكفر به"[١].

ومما يستفاد من هذه الآيات:

دعوة لتدبر ما وراء هذا المشهد الرائع من صنع الله .

لا شك أن هذا التصريف للرياح، والذي هو في غاية القوة بحيث تقلع الأشجار وتخرب الديار ، وهذا التسخير للسحاب بحيث يبقى معلقاً بين السماء والأرض مع حمله للمياه العظيمة التي تسيل بها الأودية المتسعة . . . لا شك أن كل ذلك من أعظم الأدلة على أن لهذا الكون مدبراً قادراً حكيماً هو الله رب العالمين .

سابعاً: السماء:

جاء ذكرها في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم، وهي :

١- في معرض الوعظ لأهل مكة علهم يخافوا ويرجعوا، قال الله تعالى: ﴿ Ó9 $B Ä ß öR$'Î N§»Y@B %Ïö `B Oûî% `B $Zd=d& N. (r•ƒ N9& ÑÍÉB `B "Ì%B •»gR{$$Zt_r #Y'‘B NÍõã ä$J¡¡ 9$Zu™ö&r öã©` $J¢ ûïÌz#ä $RÏö% NÏd%è/ .`B $RÙ±S&r NÍfqçã/ N§»Zd=d'ù ﴾ [الأنعام:٦].

٢- وفي دعوة هود عليه الصلاة والسلام قومه، وترغيبهم في زياد الخيرات، قال تعالى: ﴿ r»ƒ (ÏQö$‘FÓ/ (rãy (r/‘ N3/ ©Óé (q/qè? ¢Oè@ (çr'ç@ ‚Ï3 ‘ ‚Ï3 ä$J¡¡ 9$ Nà6 ør æ2 N3÷è 4‘§è N3?öq (öO‡B ûüBÌ•ègB (öq©9uqGs? ûr šú ﴾ [هود:٥٢].

---

(١) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن (٥ / ٣٣٠).

٣- وفي استعمال نوح عليه الصلاة والسلام الحكمة في دعوة قومه لما رأى أنهم يحبون الدنيا رغبهم بخير الدنيا العاجل،وثواب الآخرة فقال: **﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِّدْرَاراً﴾**[نوح:١١].

- والمراد بالسماء في هذه الآيات: المطر، لأنه ينزل منها، والمطر يطلق عليه سماء ؛ لأنه يأتي من جهة العلو، وقد جاء في الحديث الشريف أن من أسماء المطر السماء، فقد روى البخاري عن زيد بن خالد الجهنى أنه قال **"صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية ، على إثر سماء كانت من الليل . . . "**[(١)] أى : على إثر إمطار نازلة بالليل .

ومنه قول بعض الشعراء [(٢)]:

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بأَرْضِ قَوْمٍ ... رَعَيْنَاهُ وإِنْ كَانُوا غَضَابَا

ويقولون: "ما زِلْنا نطأُ السَّماءَ حتَّى أتيناكم"، يريدون الكلأ والمطر[(٣)].

ويلاحظ أن لفظ (مدرار) ورد مقرونا مع لفظة (السماء) مما يدلنا على أن المراد في السماء في هذه المواطن الثلاثة المطر والله تعالى أعلم.

المعنى الإجمالي :

الآية الأولى :

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ

(١) صحيح البخاري ،كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم (٨٤٦)(٢/٢٥٧)، وكتاب الجمعة، باب من تمطر في المطر(٢/٣٣).

(٢) هو معاوية بن مالك، وهو في خزانة الأدب (٤/١٥٦).

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣ / ٩٨)

وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾[الأنعام:٦].ألم يعلم هؤلاء الذين يجحدون وحدانية الله تعالى واستحقاقه وحده العبادة، ويكذبون رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم ما حلَّ بالأمم المكذبة قبلهم من هلاك وتدمير، وقد مكنَّاهم في الأرض ما لم نمكن لكم أيها الكافرون، وأنعمنا عليهم بإنزال الأمطار وجريان الأنهار من تحت مساكنهم؛ استدراجًا وإملاءً لهم، فكفروا بنعم الله وكذبوا الرسل، فأهلكناهم بسبب ذنوبهم، وأنشأنا من بعدهم أممًا أخرى خلفوهم في عمارة الأرض؟ [١].

الآية الثانية : يقول هود عليه الصلاة والسلام مخاطباً قومه:**﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾** عما مضى منكم، واطلبوا مغفرة الله بالإيمان **﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾** فيما تستقبلونه، بالتوبة النصوح، والإنابة إلى الله تعالى، فإنكم إذا فعلتم ذلك **﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾** بكثرة الأمطار التي تخصب بها الأرض، ويكثر خيرها،**﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾** ويضاعف قوتكم، فإنهم كانوا من أقوى الناس، ولهذا قالوا: ﴿من أشد منا قوة﴾ ؟، فوعدهم أنهم إن آمنوا، زادهم قوة إلى قوتهم وإنما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لأنهم كانوا أصحاب زروع وعمارات . وقيل حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم ثلاثين سنة فوعدهم هود عليه السلام على الإيمان والتوبة بكثرة الأمطار وتضاعف القوة بالتناسل**﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا﴾** ولا تعرضوا عن ربكم

(١) ينظر : التفسير الميسر(٢ /٣٠١).

﴿مُجْرِمِينَ﴾ مستكبرين عن عبادته، متجرئين على محارمه[1].

الآية الثالثة : ﴿**فَقُلْتُ استغفروا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً**﴾ أي : قال لهم نوح عليه الصلاة والسلام استغفروا ربكم من الشرك وآمنوا إيمانا يكون استغفارا لذنبكم فإنكم إن فعلتم غفر الله لكم، وعلل ذلك لهم بأن الله موصوف بالغفران صفة ثابتة تعهد الله بها لعباده المستغفرين فأفاد التعليل بحرف (إن) وأفاد ثبوت الصفة لله بذكر فعل(كان) وأفاد كمال غفرانه بصيغة المبالغة بقوله (غفارا)، وهذا وعد بخير الآخرة ورتب عليه وعدا بخير الدنيا بطريق جواب الأمر وهو ﴿**يُرْسِلِ السمآء عَلَيْكُمْ مِّدْرَاراً**﴾الآية، وكانوا أهل فلاحة فوعدهم بنزول المطر الذي به السلامة من القحط وبالزيادة في الأموال[2].

ما يستفاد من الآيات :

١- في الآيات دلالة على أن الاستقامة على شرع الله، تأتي بالرزق الرغيد، ولقد أشار القرآن إلى هذا المعنى في آيات كثيرة منها ما ذكرت في هذا المبحث.

٢- أن الداعي إلى الله عليه أن يذكر المدعوين بما يستثير مشاعرهم ويحقق اطمئنانهم إليه ويرغبهم في إتباع الحق ، ببيان أن إتباعهم لهذا الحق سيؤدى إلى زيادة غناهم وقوتهم وأمنهم وسعادتهم، وأن الانحراف عنه سيؤدى إلى فقرهم وضعفهم وهلاكهم .

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (٣/ ٩٨)، وتفسير السعدي (١ /٣٨٣).

(٢) ينظر : التحرير والتنوير (١ /٤٥٧٣).

الحكمة من تعدد هذه الأسماء :

إن تعدد أسماء المسمى يدل على شرف المسمى به، وما من لفظ إلا وله مدلوله الخاص به لا سيما في القرآن الكريم ولا يمكن لغيره أن يحل مكانه لعرض المعنى المراد، فبوجوده يحصل البيان، والواضع الحكيم لا يسمي الشيء ولا يضعه إلا في موضعه، وهذا وجه من وجوه إعجاز القرآن البياني، وكل تسمية للمطر في القرآن فهو باعتبار معنى من معاني هذا الماء النازل

ففي الآية الأولى قال : ﴿ أو كصيب من السماء ...﴾، ولم يقل : (كمطر)، أو (كغيث)، أو (كوابل)...الخ، لما يومئ إليه لفظ صيب من هطول الأمطار بغزارة مصاحبة بظلمات ورعد وبرق، فهو وصف يصور حال المنافقين ويبين عما في نفوسهم من اضطراب وحيرة وقلق ومخافة والأرجحة التي يعيش فيها أولئك المنافقون . . بين لقائهم للمؤمنين ، وعودتهم للشياطين . بين ما يقولونه لحظة ثم ينكصون عنه فجأة، بين ما يطلبونه من هدى ونور وما يفيئون إليه من ضلال وظلام، ولا يتأتى هذا المعنى بلفظ المطر، أو الغيث، أو الوابل أو ....الخ .

وفي الآية الثانية (الوابل، والطل) اقتصر ذكرهما في القرآن على الصدقات فقط، حيث ضرب الله بهما مثلا لمشهد كامل مؤلف من منظرين متقابلين شكلاً ووضعاً وثمرة، المنظر الأول : لقلب المنافق المرائي الصلد والذي عليه ستار من الرياء يمثله صفوان صلد عليه غشاء من التراب فنزل عليه المطر الغزير وذهب بالتراب القليل! فانكشف الحجر بجدبه وقساوته،

ولم ينبت زرعه ، ولم يثمر ثمرة . . كذلك القلب الذي أنفق ماله رئاء الناس، فلم يثمر خيراً ولم يعقب مثوبة!

وأما المنظر الثاني المقابل له في المشهد، فقلب عامر بالإيمان، ندي ببشاشته ينفق ماله ابتغاء مرضاة الله وينفقه عن ثقة ثابتة في الخير يمثله جنة خصبة عميقة التربة تزيد في الإنتاج كلما سقيت بماء غزير، أو هي تنتج على كل حال ، وإن لم يكن الماء إلا جفيفا، وهذه التربة الخصبة في مقابل حفنة التراب على الصفوان، جنة تقوم على ربوة في مقابل الحجر الذي تقوم عليه حفنة التراب، فإذا جاء الوابل لم يذهب بالتربة الخصبة هنا كما ذهب بغشاء التراب هناك، بل أحياها وأخصبها ونماها.

والمطر لم يستعمل في القرآن إلا في العذاب، والغيث ذكر في الخير، والودق هو في عموم ما ينزل من السماء، والسماء مجاز تطلق على السحاب، كما أنها تطلق على المطر.

وهذا من خصوصيات الاستعمال القرآني، فهو يستعمل بعض المصطلحات لخصوصيات معينة يتبين للمتدبر فيها شيء من أسرار التعبير البياني للقرآن الكريم.

المبحث الثاني :أوصاف هذا الماء النازل :

جاء ذكر هذا الماء النازل من السماء مقرونا بعشرة أوصاف في القرآن الكريم هي لمن تدبرها آيات مُشَاهَدة صرفها الله تعالى للعباد ليعرفوه ويشكروه ويذكروه، وبعض هذه الأوصاف متشابهة، وقد ترجع إلى معنى واحد، وسأورد الوصف الذي ليس له متشابه، ثم اتبعه بالأوصاف المتشابهة متتالية كالآتي:

أولاً: **مبارك**، قال الله جل في علاه: ﴿ $Zó Gÿ9 (ö) ?$r (qãB#ä #" •à9$# ¨br& öqs9ur ﴾ NÍkŽã ... [الأعراف:٩٦]، وقال الله تعالى: ﴿ $Z9Rr `ÏB $Z9 ... ﴾ [ق:٩] كثير البركة؛ لانتفاع الناس به في غالب أمورهم[1]، وفيه دليل على بركة آثار المطر؛ لقوله تعالى: ﴿ فآتت أكلها ضعفين ﴾كما سبق بيانه؛ ولهذا وصف الله المطر بأنه مبارك هنا.

ثانياً : الأكل ،قال الله تعالى : ﴿ öq9r& Nåk¨X& (qãB$%& ... NÍköŽ) ﴾ `ÏB NÍköS ... Oçl°;Ÿ2V{ (qèY2 `ÏB Oóg‰öqù `ÏB ... ﴾ bqè=Jèf $B ä$™ ﴾ [المائدة:٦٤].

ومعنى : ﴿ Ÿ2V{ (qèY2 `ÏB Oóg‰öqù ﴾ أي: لأنزل الله عليهم من السماء

(١) فتح القدير (٧ /٢٦).

قَطْرَها، فأنبتت لهم به الأرض حبها ونباتها، فأخرج ثمارَها[1]، ولوسَّع عليهم أرزاقَهم بأن يُفيض عليهم بركاتِ السماء والأرض، فعبَّر عن الماء النازل بثمرته ونتيجته، وهي الأكل مما كان هو سبباً في خروجه من نبات الأرض.

ثالثاً: أنه رزق، قال الله تعالى: ﴿ `B ÇÙ öΝ$#r ä$J¡ 9$#`Ï Nã6è% ƒ `B ©Βè

ÇÛ$#šÆ Ï|MhJ9$#ß ì∙ãr ÏMhJ9$#`Ï ¢Û$#ß ì∙ã `Br •»|Á ö/Ν$#r ìð ¡9$#ã ìð ƒ

`Br ãÏ/‰ãƒ $#Β bqä3à¡ ù •$Ν$# ¡ ù ä3à$Β @$# ù Ÿ ?bq à)G﴾ [يونس:٣١].

- وقال جل جلاله:] ! " # $ % & ' ( ) *

, - . 0 1 2 3 4 5 Z [النمل:٦٤].

- قال الله تعالى: ﴿ qè$# Ï%Ν “ ã∙ƒ ãΝ3ƒ ä#»i‾¾ r\ï ^Ú 9ä Nã`Ï $#9 ¡J$ä éø$Ï

Br$ ƒG‹ ãž2 ‹ Ÿ `ã B Ï‹ ⇐ ﴾ [غافر:١٣].

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ $#z É– »≅# $#@ è 9$#]k$ Í rB$ &R“ A$# ª Ï` $#9 ¡J$ä

Ï` h 5ø 'ù $ôm Ï$Î/ $#{ ⁄Úu è/‰ ‰%BÏ ¤ ß$#` Çβ$# r Î$# ƒ #»f M» ä ƒ)9 ï qΘ ƒ è)à=è bq ﴾ [الجاثية:٥][2].

(١) تفسير الطبري (١٠ / ٤٦٣)، وتفسير أبي السعود (٢ / ٢٦٥).

(٢) أمّا قول الله تعالى: ﴿ وَفِي السمآء رِزْقُكُمْ ﴾ [الذاريات:٢٢]،فللعلماء في معنى الرزق هنا قولان: أحدهما: أنه المطر،،وعليه قول أكثر المفسرين.

والقول الآخر: أن الرزق الذي في السماء أعم من المطر،فهو رزق ديني ودنيوي، والمعنى: أن في السماء مادة رزقكم، من الأمطار، وصنوف الأقدار مما كتبه الله للعباد في اللوح المحفوظ من المصالح والمنافع الجسدية من أموال وبنين وغير ذلك، فيكون هذا القول أشمل وأعم،ولما كان الأخذ بالأعم أولى من الاقتصار على الأخص، لأن الأعم يدخل فيه الأخص جعلت هذه =

الرزق هنا : المطر، بإجماع أهل التأويل، ولم يشاهد ينزل من السماء على الخلق أطباق الخبز ولا جفان اللحم، بل الأسباب أصل في وجود ذلك،وقد يسمى الشئ بما يؤول إليه، وسمى المطر رزقا لأنه عنه يكون الرزق، وذلك مشهور في كلام العرب(١).

ويلاحظ فهي هذه الآيات كيف أنه عُدِلَ عن ذكر المطر إلى الرزق إدماجا للامتنان في الاستدلال فإن الدليل في كونه مطرا يحيي الأرض بعد موتها.

رابعاً: الطهور، قال الله تعالى : ﴿ Nãøæ ÃÍ\ãr ç¥Ë ØZB& ¨ $èZ9$Nã Šë óãØ) 4?ã ÝÎž•9r ÇÜøæ±9$“ô í øãZã =Ïdõãr ¾ïnÎ Nä•ÛÜã) ã$B ä$J¡¡ 9$`Ë ü‘ Ï‰$qèdr ﴾ [الأنفال:١١]، وقال الله تعالى : ﴿ P#‰øR{ $ïnÎ MÎŸmãr Nà6 Îqèè ä™Ÿ@$9ÿ•Ìh/ x»ƒçÌ#/ üš ‰ƒõ ‘õnJGïn¾ r&R‘øZ$ Ë`$9 ¡¡J$ä B$ã ÛÛq#Y ﴾ [الفرقان :٤٨].

الطهور في اللغة : الطاهر المطهر، والطهور : ما يتطهر به،وقد ذهب الجمهور إلى أن الطهور هو الطاهر المطهر، ويؤيد ذلك كونه بناء مبالغة(٢)،قال الطاهر بن عاشور:"وماء المطر بالغ منتهى الطهارة إذ لم يختلط به شيء يكدره أو يقذره، وهو في علم الكيمياء أنقى المياه، لخلوه عن

= الآية في الحاشية. ينظر : تفسير السعدي (١ /٨٠٩)، و التحرير والتنوير (١ / ٤١٤٧)، و تفسير القرآن لابن عثيمين (٩ / ١٣).

(١) تفسير الطبري (٢١ /٣٦٢)، و تفسير القرطبي (١٣ / ١٥).

(٢) فتح القدير (٥/ ٢٨٣).

جميع الجراثيم، فهو الصافي حقاً .

والمعنى : إن الماء النازل من السماء هو بالغ نهاية الطهارة في جنسه من المياه.

ووصف الماء بالطهور يقتضي أنه مُطهّر لغيره إذ العدول عن صيغة فاعل إلى صيغة فَعول لزيادة معنى في الوصف، فاقتضاؤه في الآية أنه مطهّر لغيره اقتضاء التزامي ليكون مستكملاً وصف الطهارة القاصرة والمتعدية فيكون ذكر هذا الوصف إدماجاً لمنة في أثناء المنن المقصودة ويكون كقوله تعالى :﴿ r\ãÍ Nà2ø‌æ $`Ë 9$¡ J$ä B$ã [ãŸÜ‌•äN Îï¾ ﴾ وصف الطهارة الذاتية وتطهيره، فيكون هذا الوصف إدماجاً ولولا ذلك لكان الأحقّ بمقام الامتنان وصف الماء بالصفاء أو نحو ذلك"[1] .

ولا شك أن وصفه - سبحانه - الماء بالطهور فيه زيادة في الإشعار بالنعمة وإتمام المنة لأن الماء الطهور أنفع مما ليس كذلك، يطهر من الحدث والخبث ويطهر من الغش والأدناس، وفيه بركة من بركته أنه أنزله ليحيي به بلدة ميتا فتختلف أصناف النوابت والأشجار فيها مما يأكل الناس والأنعام[2].

خامساً: غدقاً، قال الله سبحانه وتعالى :﴿ r®è9$ FΘ$)»§q‌ãã ?’n9$ ÖÈ‌)ƒ)þ
Ÿω‌)øŠ»§Nä B$ä î‰]$ ﴾ [الجن :١٦].

(١) التحرير والتنوير (١٠ / ٩٨).

(٢) الوسيط لسيد طنطاوي (١ /٣١٣٥)، تفسير السعدي (١ /٥٨٤)

الغدق: الماء الطاهر الكثير[1]، والمراد بذلك سَعَة الرزق، قال عمر في هذه الآية: أينما كان الماء كان المال، وأينما كان المال كانت الفتنة، فمعنى ﴿ NÛ»Yø)ôV ﴾ لوسعنا عليهم في الدنيا، وضرب الماء الغدق الكثير لذلك مثلا، لأن الخير والرزق كله بالمطر يكون، فأقيم مقامه[2].

سادساً: غير أجاج، قال الله تعالى :﴿ u«tƒuäsùr& uä!$yJø9$# "Ï%©!$# tbqç/uŽô³s? ÇÏÑÈ öNçFRr&uä

çnqßJçFø9t"Rr& z`ÏB Èb÷"ßJø9$# ÷Pr& ßøtwU tbqä9Í"YßJø9$# ÇÏÒÈ öqs9 âä!$t±nS çm»oYù=yèy\_ %[`%y\`é& Ÿwöqn=sù

šcrãä3ô±s?﴾[الواقعة :٦٨].

الأجاج من الماء: ما اشتدّت ملوحته، يقول: لو نشاء أن نجعل هذا الماء النازل من المزن لشربكم ، ماء جامعا بين الملوحة والمرارة لفعلنا، فلم تنتفعوا به في شرب ولا غرس ولا زرع، ولكنا لم نشأ ذلك رحمة بكم وفضلا منا عليكم، فهلا تشكرون نعمة الله عليكم في إنزاله المطر عليكم عذبًا زلالا![3]،فإنزال الماء من المزنِ بهذه الصفة هو منة من الباري سبحانه على عباده ليختبرهم ويبتليَهم؛ أيشكرون أم يكفرون؟.

سابعاً: فراتاً، قال الله جل جلاله :﴿ r_èt$ $Zìû$ ‘r°ÅÓ ©»Ïû , »M/r&ôÏ)ø"Z»/3 B$!$Y•è$﴾[المرسلات:٢٧].

أي عذبا[4]، وهو ماء السماء ناقعا في الأرض وجاريا في الأودية

---

(١) تفسير الطبري (٢٣ / ٦٦٢).

(٢) تفسير القرطبي (١٩ /١٨)، وتفسير ابن كثير (٨ / ٢٤٢).

(٣) تفسير الطبري (٢٣ / ١٤٣)، تفسير ابن كثير(٧ / ٥٤١).

(٤) وهو مروي عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. تفسير الطبري - (٢٤ / ١٣٥).

والأنهار، يشرب ويسقى منه الزرع[1].

ثامناً : منهمر قال الله تعالى :﴿Fÿù $Yó ‍qå° < $9 ¡¡ J$ä 3ÿ$8 B‡]Ê9﴾ [القمر :١١].

منهمر :أي منصب بأبلغ ما يكون من السيلان والصب عظماً وكثرة ، ولذلك لم يقل : بمطر ، لأنه خارج عن تلك العادة ، واستمر ذلك أربعين يوماً[2]، قال ابن عباس رضي الله عنهما:"ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر من غير سحاب لم يقلع أربعين يوما"[3] وكانت هذه إجابة سريعة لدعاء نوح عليه الصلاة والسلام، كما يشعر بذلك التعبير بالفاء بعد ذلك :﴿ فَفَتَحْنَآ﴾(٤) .

تاسعاً: ثجاجاً، قال الله جل في علاه :﴿r&R‘Ø Z$ Ë`$Ø3è Ç°Ž ÑB$ä R$g` [%﴾[النبأ: ١٦].

﴿**مَاءً ثَجَّاجًا**﴾ أي : ماء منصبا يتبع بعضه بعضا كثجّ دماء البدن، وذلك سفكها،وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، وقتادة، وقال ابن زيد:كثير[5].

والمعنى : وأنزلنا لكم - يا بنى آدم - بقدرتنا ورحمتنا - من السحائب

---

(١) تفسير الطبري (٢٤ / ١٣٥)، تفسير القرطبي (١٩ / ١٦٢)، تفسير ابن كثير (٨ /٢٩٩).
(٢) نظم الدرر للبقاعي (٨ / ٢٧١)،تفسير القرطبي (١٧ /١٣٢) فتح القدير (٧ /٨٩).
(٣) الدر المنثور (٧ / ٦٧٥).
(٤) قال ابن كثير في تفسيره (٤ /٣٢٠):"هذه مُواعدة من الله تعالى لنوح، عليه السلام، إذا جاء أمر الله من الأمطار المتتابعة، والهتَّان الذي لا يُقْلع ولا يَفتُر، بل هو كما قال تعالى: ﴿ **فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الأرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ**﴾.
(٥) تفسير الطبري (٢٤ / ١٥٥).

التى أوشكت على الإِمطار ماء كثيرا متدفقا بقوة ، لنخرج بهذا الماء حبا تقتاتون به[(١)].

عاشراً: مدرارا، قال الله تعالى : ﴿ N9&r• f N. $Z3=e& B` %Of3 B` %e5

$Z3e_r #Y#'6B NI3ã ä$J¡¡ 9$$Z3™ö&r ö3©` ÅJ}ç ô9 $B Ä ß öF$'Î N3»Y3B

Êûïì z #ä $Rö N Ü % è/ . B $RÜ±S&r NIçqR¡ã Î N3»Z3=e'ù NÍE B `B "ÌB •»gR F $

@Å ö ãï a Ì (b q ê ©è N3/ ' (rã ý F™ $Ü q) »f r ﴾ [الأنعام:٦]، وقال تعالى : ﴿ r f » ...

﴿ šú üB Ì (ö ©G ? ÿr N3 ï § è 4) ç § è N à2 ŠÌ f r #Y#'6B Nà6 øæ ä$J¡¡ 9$ ﴾

[هود:٥٢]، **وقال جلّ جلاله:** ﴿ ö @Å ö ã 9$ ä$J¡¡ øæ 3 / #Y#'6B ﴾ [نوح:١١][(٢)].

-" **مدرارا** " بناء دال على التكثير، كمذكار للمرأة التي كثرت ولادتها للذكور، ومئناث للمرأة التي تلد الإناث، يقال: المدرار : الكثير الدر وأصله من قولهم در اللبن إذا أقبل على الحالب منه شيء كثير(٣).

والمعنى : درَّت عليهم السماء بأمطارها النافعة الغزيرة الكثيرة، في وقت حاجتهم إليها، فتحيا بها البلاد من الجدب، والقحط، وعبر عنه بالسماء لأنه ينزل منها (٤).

---

(١) الوسيط لسيد طنطاوي (١ / ٤٤١٧).

(٢) قال ابن كثير : " تستحب قراءة هذه السورة في صلاة الاستسقاء لأجل هذه الآية" تفسير ابن كثير (٨ / ٢٣).

(٣) معاني القرآن (٢ / ٤٠١).

(٤) تفسير الطبري (١١ / ٢٦٣)، القرطبي (٦ /٣٩٢).

المبحث الثالث: أغراض نزول المطر:

إن المؤمن المستبصر يتخذ من كل حركة وسكنة في الكون آية تدله على عظمة الله وقوته وفضله وكرمه،وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد، وبالنظر إلى الآيات التي ورد ذكر الماء النازل من السماء فيها يمكننا تقسيم أغراض نزوله إلى ثلاثة مقاصد رئيسة ، وهي : ضرب المثل به، ومجيئه للنقم والعذاب، ونزوله لأجل النعم والامتنان.

أولاً: ضرب المثل به :

١ - فتارة يحذر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالله واليوم الآخر ألا يُذْهِبُوا ثواب ما يتصدقون به بالمنِّ والأذى، ففعله هذا شبيه بالذي يخرج ماله ليراه الناس، فيُثنوا عليه، وهو لا يؤمن بالله ولا يوقن باليوم الآخر، فمثله مثل حجر أملس عليه تراب هطل عليه مطر غزير فأزاح عنه التراب، فتركه أملس لا شيء عليه، فكذلك هؤلاء المراؤون تضمحلُّ أعمالهم عند الله، ولا يجدون شيئًا من الثواب على ما أنفقوه والله لا يوفق الكافرين لإصابة الحق في نفقاتهم وغيرها،ثم مثل للذين ينفقون أموالهم طلبًا لرضا الله واعتقادًا راسخًا بصدق وعده، ببستان عظيم بأرض عالية طيبة هطلت عليه أمطار غزيرة، فتضاعفت ثمراته، وإن لم تسقط عليه الأمطار الغزيرة فيكفيه رذاذ المطر ليعطي الثمرة المضاعفة، وكذلك نفقات المخلصين تُقبل عند الله وتُضاعف، قلَّت أم كثُرت، فالله المُطَّلِع على السرائر، البصير بالظواهر والبواطن، يثيب كلا بحسب

إخلاصه[1] قال الله تعالى: ﴿Nå3Ĝ»%‰| ¹ ‡qèÜ7ê Ŵ ‡qãB#ä ûïÏ‰$$g ƒ'»7

ÌÅ Ÿ$Ò ö«Ø$ ‹ $Î ßBs ãŴr Ä $Z9$ä$•Í ¼ã$B ßÿ ̃Ÿã " É$ 3' Œ[$ Ç J Ø$Î

ŭ #$Ù¹ ¼çŸ2 ž Iù ®Î#r ¼ç/$| ¹ 'ù Ò #•êÏ ø ã A#qÿ| ¹ ê VJ. ¼ãè/Jù

ÇËÏÍÈ ûïÍŸ»3Ø$Pö) Ø$ " ‰ĝƒ Ŵ ª! $ ‡qç¡ Ÿ2 $ßÏB äÓ « 4?ã šc râ‰ bƒ

ÑĝÅ ã®R ôÏB $G•Î [Ø r ‹ $ÅV $Ê ôB ä$óÏGö$ Ñ ĝ9 qè® šc qà)Ÿ ãûïÏ‰$$ ê VBr

$kö Å ãÑ©bÎù Éú ÷ÿè Ê $g=à2 éM?$«ù ®Î#r $g/$| ¹ ‹ Þqö•Î ¥ _ ê VJ.

®Î#r ê Üù $JÎ ª! $ bqè Jè? / Å•Î﴾ [البقرة: ٢٦٤-٢٦٥].

٢ - وتارة يضرب للناس مثل الحياة الدنيا ليتصوروها حق التصور، ويعرفوا ظاهرها وباطنها، فيقيسوا بينها وبين الدار الباقية، ويؤثروا أيهما أولى بالإيثار. وأن مثل هذه الحياة الدنيا، كمثل المطر، ينزل على الأرض، فيختلط بنباتها، تنبت من كل زوج بهيج،تسر الناظرين، وتأخذ بعيون الغافلين، إذ أصبحت هشيما تذروه الرياح، فذهب ذلك المنظر البهي[2]، وكثيرًا ما يضرب الله مثل الحياة الدنيا بهذا المثل كما في

---

(١) قال الطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير (٢ / ٤٥٤) :"عطف مثل الذين ينفقون أموالهم في مرضاة الله على مَثَل الذي ينفق ماله رئاء الناس لزيادة بيان ما بين المرتبتين مِن البَوْن وتأكيداً للثناء على المنفقين بإخلاص وتفنّناً في التمثيل، فإنّ الأمثال تبهج السامع كلّما كانت أكثر تركيباً وضمّنت الهيأة المشبّه بها أحوالاً حسنة تكسبها حُسناً ليسري ذلك التحسين إلى المشبَّه ، وهذا من جملة مقاصد التشبيه.

(٢) وقد ضرب الله تعالى هذا النوع من الأمثال في عدة سور من القرآن الكريم حتى لا نغتر بالدنيا ولا نتمسك بها، والعجب أننا مغترون بها ومتمسكون بها مع أن أكدارها وهمومها وغمومها أكثر بكثير من صفوها وراحتها.

سورة يونس قال الله تعالى: ﴿ $JR̄ $̤WB s ëé $‹R%9$ .J$ä R&ŽZø Ö`

#Ä$J¡ 9$ $Ì Ý=G‹z %ÌhÎ $6R $Ì öR{ ÇÙ $Ë Bä $Z9$@ ä $ »èR{ m Ð ‹Lm ø)Œ#

$g9?& $kž æ šc râ‰»% Ñã& $gèd& Æ ßr ÎMY ƒ‹$ $gùãz ã Ú öR{ $N ‹ { &

7 ü‹ . Ä BR{ $ šÆ ø? Ñ©b(. #%ŠÃm $g»Zè f ù #Y$kX r& ¸x ø $Rêö&

ÿç ÿ$@A ÿM»ƒ $)Ϊ Ãö ÿGƒ br ﴾[1] [٢٤]، وقال جل ذكره في سورة

الكهف: ﴿ Î Ñ$ MŁ VB $tø ë‹ $‹R%9$ .J$ä R&ŽY ÿ`Ë 9$ ¡J$ä

4?ã ª! $b%.r ß»ƒ ÿ9$ ÿr âõ? $V‹È d x7ö 'ù ÇÙ öR{ $ÛV $6R ¾ÌhÎ Ý=G‹z $Ì

ä ë « ãö B G‰'# ﴾[٤٥]، وقال سبحانه وتعالى في سورة الحديد

: ﴿ $ã= ÿ$J R& $‹R%9$ s ë9 Ö r ÿ r ƒ Z ÿ $ÿ? r ä 7Y ä ÿ 3?r ë Î'

$ R{ Éq °Á $ r9‰ .VJ ø î Ö & ã f =|$ ÿ‘ 7R$ç¼ ë Ñ ‰Í ‹ ß ùl1Z ç ã Á ÿ w#

ë Ñ ƒa qã ÿÜ» $V r Î' $ ÿ Å• ó ‹ # Ò ©‰ƒÓ r BÿÓ•¢ ` $ ‹ r Í ê q°b r $B

$ s ä $!$‹R$ ÿ BF» $ ãé r Í ﴾[٢٠]. والمراد من هذه الآيات الكريمة

التحذير من الانهماك فى الحياة الدنيا ومتعها ، حيث شبهها - سبحانه -

فى سرعة زوالها وقرب اضمحلالها - بالزرع الذى يبدو مخضرا وناضراً

. . . ثم يعقب ذلك الجفاف والذبول والاضمحلال .

---

(١) قال الطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير (١ / ١٩٥٨) :" شبهت حالة الحياة في سرعة تقضيها وزوال نعيمها بعد البهجة به وتزايد نضارتها بحال نبات الأرض في ذهابه حطاما ومصيره حصيدا فقوله (كماء أنزلناه من السماء) شبه به ابتداء أطوار الحياة من وقت الصبا إذ ليس ثمة سوى الأمل في نعيم العيش ونضارته فلذلك الأمل يشبه حال نزول المطر من السماء في كونه ما يؤمل منه من زخرف الأرض ونضارتها".

٣- وتارة يضرب الله تعالى به المثل للحق والباطل، والإيمان به والكفر، فالحق هو الماءُ الباقي الذي أنزله الله من السماء، والزبد الذي لا ينتفع به هو الباطل[١]، وقال القرطبي :" هو مثل ضربه الله للقرآن وما يدخل منه القلوب، فشبه القرآن بالمطر لعموم خيره وبقاء نفعه، وشبه القلوب بالأودية، يدخل فيها من القرآن مثل ما يدخل في الأودية بحسب سعتها وضيقها قال ابن عباس: " أنزل من السماء ماء " قال: قرآنا،﴿ ù¡ $9M ä-Sr߀ $dî‰)Ï ﴾ قال: الأودية قلوب العباد "[٢].قال الله تعالى: ﴿ A“R& ÆB ÏE$š$9 ¡¡J$ä B$ä ù¡ $9M ä-Sr߀ $dî‰)Ï $ûG$¡ô GJ@Ÿ$9 ¡¡@@

–/%# §#Ï$$ rßB$ãqè%br ã ø¨Ï ’$Z9$ íß$ó$ä mÿ× p ä& BF» 8 –/Ç ÛB‹$6

. ‹ÿ7 „ØÏ ÿÜ$! ª$ s ;¨ rß‹7»ÜÝ ù'B$$9“/‰ ùŠõd ÿ Ü ãÿ$ ä& r&B$ B$ fZÿß

$Z9$ ¨ ù‹õd ß… Ï ’$ ø‰Ç . ‹ÿ7 „ØÏ ÿÜ$! ª$ ‰$ A ﴾[٣] [الرعد:١٧].

(١) تفسير الطبري (١٦ / ٤٠٨).

(٢) تفسير القرطبي (٩ / ٣٠٥).

(٣) هذان مثلان ضربهما الله - تعالى - فى هذه الآية للحق وللباطل يقول : إن الباطل وإن ظهر على الحق فى بعض الأحوال وعلاه ، فإن الله - تعالى - سيمحقه ويبطله ويجعل العاقبة للحق وأهله.

كالزبد الذى يعلو الماء فيلقيه الماء ، وكخبث هذه الأجسام ، فإنه وإن علا عليها فإن الكير يقذفه ويدفعه ، فهذا مثل الباطل

وأما الماء الذى ينفع الناس وينبت المراعى فيمكث فى الأرض ، وكذلك الصافى من هذه الأجسام فإنه يبقى خالصا لا شوب فيه ، وهو مثل الحق". الوسيط لسيد طنطاوي (١ / ٢٣٧٦).

وهكذا نجد أن القرآن الكريم يتخذ الأحداث الكونية دليلاً على حقائق شرعية، ويضرب بها الأمثال ليعقل من يعقل فينجو ويسعد، ويهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيّ عن بينة.

ثانياً :للنقم والعذاب .

جعل الله سبحانه وتعالى هذا الماءَ النازل محِنةً وبلاءً وعقوبةً يُرسلها للعاصين من عباده والمعرضين عن هديه وشريعته كما فعل جلّ وعلا بقوم نوح، وقوم سبأ.

١ - قوم نوح -على رسولنا وعليه الصلاة والسلام- كان ذلك في مُواعدة من الله تعالى لنوح - عليه الصلاة والسلام- عندما لجأ إلى ربه يعلن أنه مغلوب ويدعو ربه أن ينتصر، بعد ما دعا قومه ليلا ونهارًا، سرًا وجهارًا، فلم يزدهم دعاؤه إلا فرارًا، إذا جاء أمر الله من الأمطار المتتابعة، والهتان الذي لا يُقْلع ولا يَفتُر، بل هو كما قال تعالى: ﴿%æ‰ù

$Röf ùr ÇÈ 9É]B ä$yïä ä$J¡¡ 9$> ºqö $Yós Fÿù ÇÈ ŽÅÇ GR$ù Ò qèóB ’Î1 y‘ç/

9ºqø ÏN#Œ 4?ã çµYùJmr ÇÈ ‘‰è%ô‰% 9ø& #?ã â$J9$ ’+G9$ù $Zqãã Ú öF{$

`Ï B @gù ?#ä $g»Yø? ‰)9r ÇÈ •ÿä b%. `J9 â#“_ $Zïãã'Î “ ÌgB ÇÈ 93 Šr

9ï‰B #ø3ù ÇÈ b%. ã‹#Î1 ’çr äí﴾ [القمر:١١]، ثم أمر الله تعالى الأرض أن تبلع ماءها الذي نبع منها واجتمع عليها، وأمر السماء أن تُقلعَ عن المطر،وقد أُغرق أهل الأرض إلا أصحاب السفينة،**قال الله تعالى** :

﴿r‰Š@ÿ 7»'ö ÚÍ$Ó=ÉÓ B$ä BÏ r»ƒ ¡|J$â ‰ÊÓ r Ïî< Ù $J9$â r èÅÓ$ {Fö Bãë

ûüÜÎ»@9$Ùö)tÛ #%èç©ØŠÏr ×Ä Šqèö$'?ã ÑNqFÖ‹$#﴿[1] [هود:٤٤].

٢ - قوم سبأ،إذ سلبت منهم النعم، وحلت بهم النقم عندما أعرضوا عن دين الله ولم يشكروا نعمه عليهم كما هى سنته في عباده . قال تعالى ﴿Ÿ$Zù™ö'ù $Zù™ö'ù ÑÏŽö£ã ©ø™Ø$èÇ﴾ وذلك بأن خرب السد ، وذهبت مياه الأمطار المستفاد منها وماتت الأشجار وأمْحَلَتْ الأرض قال الله تعالى:

﴿ù'ã• Ê#qãà $Zù™ö'ù ÑÏŽö£ã ©ø™Ø$èÇ[2] r/Ÿ%©!$ ÑÏŽö£Z_ ÈÚ#FZ ÏA#rŒ Ö Ÿé @à2 ‾~ ÿY r @ä« r ôÖ« B` Ã%9 %Šî@﴾ [سبأ:١٦][3].

(١) تفسير الطبري (١٥ / ٣٣٤)، تفسير ابن كثير (٤ / ٣٢٣) .

(٢) والعرم : اسم للوادى الذى كان يأتى منه السيل قاله مجاهد، وقيل: هو المطر الشديد الذى لا يطاق .

فيكون من إضافة الموصوف إلى الصفة أى:أرسلنا عليهم السيل الشديد الجارف المدمر .

ويرى بعضهم أن المراد بالعرم : السدود التى كانت مبنية لحجز الماء من خلفها. التفسير الميسر (٧ / ٣٩٣).

(٣) ذكر المفسرون أن سبأ كانت قبيلة معروفة في أداني اليمن، ومسكنهم بلدة يقال لها "مأرب" ومن نعم اللهّ ولطفه بالناس عموما، وبالعرب خصوصا، أنه قص في القرآن أخبار المهلكين والمعاقبين، ممن كان يجاور العرب، ويشاهد آثاره، ويتناقل الناس أخباره، ليكون ذلك أدعى إلى التصديق، وأقرب للموعظة فقال : ﴿**لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ**﴾ أي: محلهم الذي يسكنون فيه ﴿**آيَةٌ**﴾ والآية هنا : ما أدرَّ اللهّ عليهم من النعم، وصرف عنهم من النقم، الذي يقتضي ذلك منهم، أن يعبدوا اللهّ ويشكروه. ثم فسر الآية بقوله ﴿**جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ**﴾ وكان لهم واد عظيم، تأتيه سيول كثيرة، وكانوا بنوا سدا محكما، يكون مجمعا للماء، فكانت السيول تأتيه، فيجتمع هناك ماء عظيم، فيفرقونه على بساتينهم، التي عن يمين ذلك الوادي وشماله. وتُغِلُّ لهم تلك الجنتان العظيمتان، من الثمار ما يكفيهم، ويحصل لهم به الغبطة والسرور، فأمرهم اللهّ بشكر نعمه التي أدرَّها عليهم ووعدهم - إن شكروه - أن يغفر لهم وَيرحمهم، ولهذا قال:
=

ثالثاً : للنعم ، والامتنان.

من فضل الله سبحانه وتعالى ومنته على الخلق منفعة هذا الماء النازل من إحياء الأرض الميتة، ومن ثم إخراج النبات، وجعله سببا في مصدر رزق العباد والمخلوقات،وشربهم. والبركة كل البركة في نزول المطر الذي تَنبُت به الأرض وتحيى به الموات، فسبحانَ القادرِ على كلّ شيء، سبحانَ من إذا قال للشّيء كن فيكون، بينما النّاس يرَون جدبَ الأرض وقلّة المياه أو غورَها في بعض الأماكن إذا هم بهذا الغيثِ المبارك، يملأ أوديتَهم، ويشاهدونه وقد اهتزّت الأرض وربَت من هذا الخيرِ العظيم، وقد بيّن ذلك في آيات كثيرة من كتابه الكريم، منها :

١ - ذكر الآيات الدالة على إحياء الأرض بعد موتها :

قال الله تعالى :﴿bÎ) ’Î û ¨ùÈ$9 ¡¡J«q°N $# ö‘{$# Çò Ü=-»Ï ë@Ø$# @ø‹©9$#ur í$gY9$#

= ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾، فأعرضوا عن المنعم، وعن عبادته، وبطروا النعمة، وملوها﴿وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾فعاقبهم الله تعالى بهذه النعمة، التي أطغتهم، فأبادها عليهم، فأرسل عليها سيل العرم،أي: السيل المتوعر، الذي خرب سدهم، وأتلف جناتهم، فتبدلت تلك الجنات قال الله تعالى: ﴿ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ﴾ أي: شيء قليل من الأكل الذي لا يقع منهم موقعا ﴿خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ وهذا كله شجر معروف، وهذا من جنس عملهم، فكما بدلوا الشكر الحسن، بالكفر القبيح، بدلوا تلك النعمة بما ذكر، ولهذا قال: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلا الْكَفُورَ﴾، فلما أصابهم ما أصابهم، تفرقوا وتمزقوا، بعدما كانوا مجتمعين، وجعلهم الله أحاديث يتحدث بهم، وأسمارا للناس، وكان يضرب بهم المثل فيقال: "تفرقوا أيدي سبأ" فكل أحد يتحدث بما جرى لهم، ولكن لا ينتفع بالعبرة فيهم إلا من قال الله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾. ينظر السعدي (١ / ٦٧٧).

[illegible]

[illegible]

[illegible] [البقرة: ١٦٤].

– [illegible]

[illegible]

[illegible] [الأعراف: ٥٧].

– قال الله تعالى: ﴿[illegible]

[illegible]﴾[(1)] [النحل: ٦٥].

– قال الله تعالى: ﴿[illegible]

[illegible]﴾ [الحج: ٥].

– قال الله تعالى: ﴿[illegible]

[illegible]﴾ [الحج: ٦٣].

– قال الله تعالى: ﴿[illegible]

[illegible]

[illegible]﴾ [الفرقان: ٤٨-٤٩].

– قال الله تعالى: ﴿[illegible]

---

(١) قال الطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير (١٠ / ٩٨): "ولماء المطر خاصية الإحياء لكل أرض لأنه لخلّوه من الجراثيم ومن بعض الأجزاء المعدنية والترابية التي تشتمل عليها مياه العيون ومياه الأنهار والأودية كان صالحاً بكل أرض وبكل نبات على اختلاف طباع الأرضين والمنابت" .

Ẅ ÒèďÇ̌Ÿò2 &@/ ﾑ ‰ð s ⁄@è ª! $£‰qÌ‹9 $gÏöB ‰è/ ` Ë Ú öÑ$

bqè=É)÷ètƒ ﴾ [العنكبوت:٦٣].

– قال الله تعالى: ﴿ ô Ïr #ä ƒ»tƒ#uä ¾ÏmÏG»tƒ#uä ô`ÏBur ãNä3ƒÌãƒ s-÷y9ø9$# $]ùöqyz $YèyJsÛur ãAÍit\ãƒur š` Ë

$J¡ 9$# $B ä$ ÇÙ ¾Ïm Ï$Šö F$# ‰è/ $pkÌEöqtB 4 žcÎ) ’Îû š Ï9ºsŒ ;M»tƒUy ;Qöqs)Ïj9 šcqè=É)÷ètƒ ﴾ [الروم:٢٤].

– قال الله تعالى: ﴿ öNs9urr& (#÷rtƒ $R& ä$qÝ¡nS ä$J9$# ’<Î) Ú öF$# ÏãàfÇ9$# ßlÌøƒéUsù ¾ÏmÎ/ %Yæö‘y— ã@à2 ù'tB çm÷ZÏB öNßgßJ»yè÷RRr& öNåkߦàÿRr&ur (Ÿxsùr& tbrçŽÅÇö7ãƒ ﴾ [السجدة:٢٧].

– ﴿ô`ÏBur ¾ÏmÏG»tƒ#uä y7¯Rr& ts? uÚ öF$# ZpyèÏ±»yz #sŒÎ*sù $uZø9t“Rr& $pköŽn=tæ uä!$yJø9$# ôN¨tI÷d$# ôMt/u‘ur 4 ¨bÎ) ü“Ï%©!$# yduŠômr& ÇÕósßJs9 #’tAöqyJø9$# 4 ¼çm¯RÎ) 4’n?tã Èe@ä. &äóÓx« 퍃ωs% ﴾

[فصلت:٣٩].

– ﴿ “Ï%©!$#ur tA¨“tR z` ËB ä$J¡ 9$# Lä!$tB 9‘y‰s)Î/ $tRõŽ|³Rr'sù ¾ÏmÎ/ Zot$ù#t/ $\GøŠ¨B 4 y7Ï9ºx‹x. šcqã_t÷‚è? ﴾ [الزخرف:١١].

– ﴿ $uZø9¨“tRur z` ËB ä$J¡ 9$# [ä!$tB %Z.t»t6•B $uZ÷Kt7/Rr'sù ¾ÏmÎ/ ;M»¨Yy_ ¡=ymur ωŠÅÁptø:$# ÇÒÈ Ÿ@÷‚¨Z9$#ur ;M»s)Å™$t/ $olm; Óìù=sÛ Ó‰ŠÅÒ¯R ÇÊÉÈ $]%ø—Íh‘ ÏŠ$t6Ïèù=Ïj9 ($uZ÷uŠômr&ur ¾ÏmÎ/ Zot$ù#t/ $\GøŠ¨B 4 y7Ï9ºx‹x. ßlrãƒø:$# ﴾ [ق:٩-١١].

٢- ذكر الآيات الدالة على إخراج الزرع، والرزق

الآيات السابقة بينت لنا كيف أن الله يحي الأرض بعد موتها، ثم هنا يبين لنا كيف أنه جلت قدرته يخرج الزرع من هذا الماء بأنواعه، وألوانه، وأشكاله، قال الله تعالى:

١- ﴿ “Ï%©!$# Ÿ@yèy_ ãNä3s9 uÚ öF$# $V©ºtÏù uä!$yJ¡ 9$#ur [ä!$oYÎ/ tA t“Rr&ur š` Ë B ä$J¡ 9$# $B ä$

ÑÇR&r #Š#‰R& ﺗ ‡qèè¢B Ÿù ÑâΘ$]ø¯ Ñ°•JV9$`Ë ¾ÏmÎ l•z 'ù

?è=ßq cš﴾[البقرة:٢٢].

٢- وقال جل في علاه:﴿ rd$qèΩ$‰ 'ü R&“A Ë`$9 ¡¡J$ä B$ä ù' z•ôY$ ÎmÏ¾ R$7N

ä@ «ôÅ$ ù' z•ôY$ ÷ç•zt ÆÏß ÷ç•z #ŽÐ þÏß B$ ÷ç m‡$ B#Žl 2Å$ r Ë`$9Z ÷@ Ë` ÛùtÈg$

%ÈzqÿR#Šr _Y»M B ô¨äY <5 r$9"ŸÇqb r$9•B$b Ÿâ Ÿ$ÓÿÍ r îÿöŽÄ F±«ÎŸ ÇR$¯yÿ‡

.[الأنعام:٩٩] ﴿ bqãZÏB÷sãƒ Qöqs)Ïj 9M»tƒUy ÑâΘ$9 'Î bÎ) ¾ÏmÏèZtƒr •J0 4<Î)

٣ - قـــال الله تعـــالى:﴿ ù'R#Ÿ$Z Î$ÏmÏ0J$ä ù' z•ôY$ Î$mÏ¾ B`$9$@ä JV•°Ñ ﴾ [

الأعراف:٥٧].

٤ - وقال سبحانه:﴿ $!ª$‰ “ {=, $9¡¡J»q°Ñ r$‡ R$ú Ú r&R“A Ë ÆŠ$9¡¡J$ä

$B ù' l•z Î$mÏ¾ B`9JV•°Ñ ø¯]$ΘâÑ r™ ¤•9 Î$ÏR$9ñÜ •Š 9G ôÞ “ Î'$9Ó ÓÌ

.[إبراهيم:٢٢] ﴿ g»•R$ÇR$ÏR$9 ¤• ™r Î'$ÏÎ¾

٥ - قـال الله تعـالى:﴿ $‰% “ _è@ 9$ÏR$ÇR$ Ú Bô§#% r™=7 9ÑÎ $kŽ$ Mç%Ω

.[طه:٥٣] ﴿ 4ÓÈ® ;N$7R `Ë [%° r&Î¾ Î$mÏ¾ $Yô •z 'ù B$ä J¡¡9 $`Ë A“R&r

٦ - قال الله تعالى:﴿ r&9ÑtÈ ƒ•r R ßqŸ äJä 'Í) $‘ ÚÇR$¢ à£ -Î Î÷ßÍ ¾ÏmÎ

.[السجدة:٢٧] ﴿ rb)ÇÅ •ãÝÊ ù& ÑãÝ ãR&r ÑßGÞ»è&R Ï¢ÌB @à2 Ûî %¯ö–

٧ - قال الله تعالى:﴿ &9óΘ ?• &b$`Ï® R&“A Ë`$9 ¡¡J$ä B$ä ù' z•ôY$ Î$mÏ¾ 0J•°Ñ;

﴿ Sq߉ ÜÍ$#• Îr $kçq¾Ø 9ë#‘ ÎF¤ÆÓ ßã ãnr ®ÜÚ ‰S < Î$ÏÉ Ë`$9 ¤Ëtr $kçq¾Ø #ÿý$ ÆF¤ÎÓ

[فاطر:٢٧].

٨ - قال الله تعـالى:﴿ &9Ñ ?• &b$`Ï® R&“A Ë`$9 ¡¡J$ä B$ä ù ¡|=3ç¼ ƒY»(ö ‹ì Î †

ÏãéøtΡ #ÿvÁ¨ã ìlŽ¿ ÆÅŠg ƒ Ïê¼çÆçq¾Ø #ÿý$ ÆGÓÅ %¯ö– ¾ÏmÎ ßÌt¢ã ÆÓê ÇÚ Ÿ$‘

$J»Üãn $bÎ) 'Î û ûÉ9 ;t“ò2Ï%s! š• Ï9ºsŒ 'Î ¨bÎ) $J»Üãn ﴾ [الزمر:٢١].

٩ - قال سبحانه: ﴿ $Z8R&r ÏNºt•ÅÇ÷èßJø9$# z`ÏB $uZø9t“Rr&r $§_$¯gwR [ÏmÎ/ yl̃Ì÷‚ãZÏj9 ÇÊÍÈ ${m ÇÊÎÈ $%$x ÿø9r& BM»Z_r ﴾ [النبأ:١٤].

- يلاحظ في الآيات السابقة اقتران فعل الإخراج بحرف الفاء ﴿ 'ù ·z r& ﴾﴿ 'ù ·z ôY$ ÏmÎ/ ﴾﴿ ãù ÷‚ÎŽßB ÏmÎ/ ﴾ الدالـة عـلى سـعة الإخراج، ففور التقاء الماء بالحب في الأرض يتم سرعة التلقيح، وإن تأخر ظهور الزرع لنا على وجه الأرض، وهذا الاقتران لم يكن في الآيتين الأخيرتين من الآيات المذكورة ،وهي في سورتي الزمر، والنبأ،﴿ Oèd ßÏãÎ ÏmÎ/ ﴾﴿ ÷yl̃Ì ÷‚ãZ Ïj9 ÏmÎ/ ﴾ للدلالة على أن الإخراج لم يتم بعد نزول الماء مباشرة، وإنما على التراخي، فالماء في هاتين الآيتين لم ينزل للري مباشرة، وإنما تم تخزينه في الأرض والأنهار ليستعمل بعد ذلك .

- **آيات أخرى فيها تفصيلات عن الإنبات، وما شابهه دون الإخراج**

١ - قال الله تعالى :﴿ uqèd ü%©!$# tAt“Rr& z`ÏB Ïä!$yJ¡¡9$# [ä!$tB ( /ä3©9 çm÷ZÏiB Ò#•©! çm÷ZÏBur © Ìf Ÿ°Å çmŠÏù šcqßJŠÅ¡è@ ÇÊÉÈ àMÎ6/Zãƒ /ä3s9 ÏmÎ/ tí ö‘9$# šcqçG÷ƒ¨9$#ur Ÿ@ŠÏ‚¨Z9$#ur |=»uZôãF{$#ur `ÏB Èe@à2 ÏNºt•yJ¨V9$# 4 ¨bÎ) 'Î û š• Ï9ºsŒ ZptƒUy 5Qöqs)Ïj9 šcrã•©6x÷tGtƒ ﴾ [النحل:١٠-١١].

٢ - قال الله تعالى : ﴿ “ t•s?ur š ßö‘F{$# Zoy‰ÏB$yd !#sŒÎ*sù $uZø9t“Rr& $ygø‹n=tæ uä!$yJø9$# ôNt“tI÷d$# ôMt/u‘ur ôMtFu;/Rr&ur `ÏB Èe@à2 £l÷ry— 8kŠÎgt/ ﴾ [الحج:٥].

٣ - قال الله تعالى :﴿ óOs9r& ts? žcr& ©!$# tAt“Rr& z`ÏB Ïä!$yJ¡¡9$# [ä!$tB ßxÎ6óÁçGsù ÞÚö‘F{$# ¸o¨ŸÒøƒèC 4 žcÎ) ©!$# ì#‹ÏÜs9 ׎Î7yz ﴾ [الحج:٦٣].

٤ - قال الله تعالى: ﴿$Z¥R&r $`Ë 9$J¡¡ä$B $Bš)‰9 ù'M3Y»y ’Î $'Ü Ç Jr$R]r

4?ã $dŒ ¤U ¾!‰» 9 brâ‰ Ç ÈÑ ù'S±ÛR$ 9ã/ !ñ¾ _Z»M Ë` ÛÏš@ r&Zã» 5=

©Ÿ9ã $kŽÏù ùq°Ìç .Ÿ•žx r&B‹$k ?ÞŸè bq﴾ [المؤمنون:١٨].

٥ - قـــال الله تعـــالى: ﴿ &Bô {=, $9 J¡¡q»N° $# öF Ú r& “A9 6àN Ë ÆŠš

$9 J¡¡ä$B ã$B ù'R;FZ$ ¾!ñ n‰#I, Œ# Vš /ôf 7ã $B 2Ÿ% cš 9ã2Ô ^.bö ¾qçf

©f •d$ ›&9ä» BìB $!« /@ dNè % ö Qè/ ‰ê bq﴾ [النمل:٦٠].

٦ - قال الله تعالى: ﴿z =,$9 J¡¡q»N° ÎóŠ Îå‰H ?•¡XkΧ r&ùž+4 Î’$# öF Ú ’r°Å Ó

&b ?Ü‹%‰ Îã/ r/ Jƒ Ë` $kŽÏù àç Ë` Ëš #/!$B $9 J¡¡ä$B $R;G»Y$ ù'kŽÏù $kŽÏ` Ë

2àé 8. •ƒ/Ùr﴾ [لقمان:١٠].

٧ - قـال الله تعـالى:﴿ r$R¥Z$ Ë` $9 J¡¡ä$B $B6»•Z% ù'R;G»Z$ ¾!ñ _Z»M ¡ mr=

$t Å‰Š ÇÈ 9$Z÷ Ÿ™ /$M»)ž ;l$ ÛÏÛÓ ¯ÒÕ×Ó ÇÈ h$o]$ ¶#éèô!6$ rZ•ô&n ¾!ñ

/!$EŽB . ‹ ŸÏ°7 $ZõÏ½ r$ß﴾ [ق:٩-١١].

٨ - قـال سـبحانه:﴿ $R&¹ |7Ÿ Z$ 9$J!¡ä ¹ |7Ÿ Z%) © ÇÎÈ O§ ©)%Z$$ 9$ © Ú ö F Ú ÇÏÈ $y

r'ù R;7KZ$ $kŽÏù m{$ ÇÐÈ r&ZÏã6Y$ r%ÒYù$ ÇÑÈ r&—ƒ—Fçqb$ rU‹wè ÇÒÈ n‰#I, ãùZÅ$

ÇÌÈ rùr»gÅ$ r&/¡ ÇÍÈ B•GG»è$ 9©3ä/ r{R÷èŠ»3Ü﴾ [عبس:٢٥-٣٢].

في الآيات السابقة بيان لما يحدثه الماء بالأرض، ومدى الحركة التي تدل على الحياة بعد الموت﴿ l”N© ‘/M r&6FM Ë` 2à e— £ /ûŠš8﴾ وكيف يتحول لونها

﴿ ÈÛ‹Á6ïø ô$# öF Ù (éB ÒŒ$o﴾ وكيف ينبت الله منها بهذا الماء الذي لا لون ولا طعــــم ولا رائحـــة لـــه﴿ n‰#I, Œ# Vš /ôf 7﴾ و﴿ _Z»M ¡ mr=﴾

$tøÅŠ‰Ÿ﴾ ثم كيف ينبت بهذا الماء الشجر الضخم من بذرة لا تكاد ترى من صغرها، فتحول بهذا الماء إلى هذا الحجم، وفيها من الألوان المبهجة، والثمار الطيبة ، والروائح الزكية.

دلالات الآيات :

١- أن الماء ينزل من السماء بقدرة الله تعالى على الأرض . فينبت الثمر الحلو والثمر المرّ ، والأزهار المختلفة الأشكال والألوان.

٢- إن إنزال الماء من السماء يكون بحسب الحاجة ، لا كثيراً فيفسد الأرض والعمران ، ولا قليلاً فلا يكفي الزروع والثمار فيحصل الجدب والمحل . ولا في غير أوانه فيذهب بدداً بلا فائدة . بل بقدر الحاجة إليه من السقي والشرب و الانتفاع به، وهذه من نعم الله على عباده.

٣- أن هذا التفاوت في الزرع، والنبات، والخلق دليل عقلي على مشيئة اللهّ تعالى، التي خصصت ما خصصت منه، بلونه، ووصفه، وقدرة اللهّ تعالى حيث أوجدها كذلك، وحكمته ورحمته، حيث كان ذلك الاختلاف، وذلك التفاوت، فيه من المصالح والمنافع، ومعرفة الطرق، ومعرفة الناس بعضهم بعضا، ما هو معلوم.

٤- وذلك أيضا، دليل على سعة علم اللهّ تعالى، وأنه يبعث من في القبور، ولكن الغافل ينظر في هذه الأشياء وغيرها نظر غفلة لا تحدث له التذكر، وإنما ينتفع بها من يخشى اللهّ تعالى، ويعلم بفكره الصائب

وجه الحكمة فيها[١].

٥- في الآيات السابقة بيان لمصدر هذا الماء أنه نـازل مـن السـماء، وأكثـر المفسرين على أن المراد بها هنا السحاب، أو مطلق العلو، حيث فُسر بقول الله تعالى: ﴿NçR&ä ÷ßDöFR& çnqßJçFø9t“R& z`ÏB Èb÷ß9$# ôPr& ß`øtwU šcqä9Í”ß9$#﴾ [الواقعة: ٦٨]،ولعل الحكمة البالغة في نزول المطر على الأرض من علـو، لـيعم بسقيه منخفضـها ومرتفعهـا، ولـو كـان ربهـا يسـقيها مـن ناحيـة مـن نواحيها لما أتى على الناحية المرتفعـة إلا إذا اجتمـع في السـفلى وكثـر. وفي ذلك فساد ، فاقتضت حكمته أن سقاها من فوقها.

- يقول ابن القيم رحمه الله تعالى وهو يتحدث عن نزول المطر من السحاب عـلى الأرض: "فـيرشُ السـحاب عـلى الأرض رشـاً، ويرسـله قطـرات منفصـلة، لا تختلط قطـرة منهـا بـأخرى، ولا يتقـدم متأخرهـا، ولا يتـأخر متقدمها، ولا تدرك القطرة صاحبتها فتمتزج بها، بـل تنـزل كـل واحـدة في الطريق الذي رسم لها لا تعدل عنه حتى تصيب الأرض قطـرة قطـرة، قـد عينت كل قطرة منها لجزء من الأرض لا تتعداه إلى غيره، فلو اجتمع الخلق كلهم على أن يخلقوا قطـرة واحـدة أو يحصـوا عـدد القطـر في لحظـة واحـدة لعجزوا عنه.

ثم قال رحمه الله: فتأمل كيف يسوقه سبحانه رزقاً للعباد والـدواب والطـير والذر والنمل، يسوقه رزقاً للحيوان الفلاني، في الأرض الفلانيـة، بجانـب

(١) تفسير السعدي (١ / ٦٨٨).

الجبل الفلاني، فيصل إليه على شِّدة الحاجة والعطش في وقت كذا وكذا"[1].

٦- **سقيا، وشراب للخلق.**

بين الله تعالى في مواضع من كتابه عظيم منته بإنزال الماء من السماء وجعله إياه عذباً صالحاً لسقيا الناس، والأنعام، والنبات،فمن هذه الآيات :

١ - قول الله جل في علاه :﴿ a8$JÎ 4+ó ç5#qžÏ¹ žöî r ö#qžÏ¹ @šÍUr ×ö–r %ïn°r ﴾ [الرعد:٤].

٢ - قول الله تعالى :﴿ â$B ä$J ¡¡ 9$` Ë $Z Ø R'ù x Ï°q9 x»f Ì9$ $ZŠ™ö&r ûüÏRÌ»f 2 ¼çq9 Ó Oçr& $Br çqßä3 »Yø) ó™'ù ﴾[2] [الحجر:٢٢].

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٠٢).

(٢) قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ فيه للعلماء وجهان من التفسير كلاهما يشهد له قرآن الأول : أن معنى ﴿ وَمَآ أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ أي ليست خزائنه عندكم بل نحن الخازنون له ننزله متى شئنا وهذا الوجه تدل عليه آيات كقوله ﴿ **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ** ﴾[الحجر : ٢١] وقوله :﴿ **وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ السماوات والأرض** ﴾ [المنافقون : ٧] الآية ونحو ذلك من الآيات ، والوجه الثاني: أن معنى ﴿ وَمَآ أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ بعد أن أنزلناه عليكم لا تقدرون على حفظه في الآبار والعيون والغدران بل نحن الحافظون له فيها ليكون ذخيرة لكم عند الحاجة ويدل لهذا الوجه قوله تعالى : ﴿ **وَأَنزَلْنَا مِنَ السمآء مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأرض وَإِنَّا على ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ** ﴾ [المؤمنون : ١٨] وقوله :﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُمْ بِمَآءٍ مَّعِينٍ** ﴾ [الملك : ٣٠] وقوله : ﴿ **أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْراً فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً** ﴾ [الكهف : ٤١] وقوله : ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله أَنزَلَ مِنَ السمآء مَآءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأرض** ﴾ [الزمر : ٢١] الآية إلى غير ذلك من الآيات. أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن (٢ / ٣٩٦).

٣- وقوله تعالى: ﴿ qd $‰ ür &R“A Ï ÆŠ$9 ¡¡J$ä B$ã ©9a/ Ïz¨ç ©•# Ó r Ïz¨ç © Öf ìÏŠë Å‰ŠBq c š﴾ [النحل: ١٠].

٤- وقوله تبارك وتعالى: ﴿ r&R“Z$ # B` $9 ¡¡J$ä B$ã Ûq§Y # ÈÑÏç ãj 6ós ‘ Î ÏÓ ‹ /$#B Ïù # Y‹J ¨ ÿ ›YB $è»R&r $YŠÅ$R ãÅÏó ?2 #ŸÏV ﴿ [الفرقان : ٤٨ - ٤٩].

٥- وقال الله جل وعلا: ﴿ &ùu•äã ÏD$J9$ä$Ï ‰ “ @ Ïã©Ž bqç ÈÏÎÇ ä&R& N¢çBqß9$J» B` $÷ ÓçRB Ûq z=Ï ÇÏÎÇ bqß é ø9$ ±$å _ èÅZ»yèy ` %[% ùq ü•ã ãYr @ÏãéÃr c š﴾[الواقعة: ٦٨].

وقوله عز وجل: ﴿ r&ùÑ¡Z»/a B$ã •è$Y%﴾ [المرسلات: ٢٧].

٧- **التطهير، والطمأنينة، والتثبيت.**

كما حصل للمؤمنين يوم بدر عندما أنزل الله تعالى على معسكرهم خاصة مطراً غزيراً شربوا وتطهروا وتلبدت به التربة فأصبحت صالحة للقتال عليها، قال الله تعالى: ﴿ Œ) ƒóÖ±ŠÅ6Nàã9$Z# ¨ &BZp BiY÷mç ãÿ\ã Nàøæ ã ŠB`È 9$¡J$ä B$ã ÏjçÜãÎdd Nàöç/ ¾ÏmÎ ãr Ïõ=Zî ãó `Nà. ‘ô`“ 9$±øä Ü»`Ç ãr9Ïç÷Ûã ãn ?ã 4 ‘è Ïù Nä3Î/q=à% ãr ƒèVãMk/ ¾ÏmÏ 9${%‰#P﴾(١)[الأنفال: ١١].

---

(١) قال الواحدي في الوجيز (١ / ٤٣٢):"وذلك أنهم لما بايتوا المشركين ببدر أصابت جماعة منهم جنابات وكان المشركون قد سبقوهم إلى الماء فوسوس إليهم الشيطان وقال لهم: كيف ترجون الظفر وقد غلبوكم على الماء ؟ وأنتم تصلون مجنبين ومحدثين وتزعمون أنكم أولياء الله وفيكم نبيه ؟ فأنزل الله تعالى مطرا سال منه الوادي حتى اغتسلوا وزالت الوسوسة فذلك قوله: ﴿ليطهركم به﴾ أي: من الأحداث والجنابات ﴿ويذهب عنكم رجز الشيطان﴾ وسوسته التي تكسب عذاب الله ﴿وليربط﴾ به ﴿على قلوبكم﴾ باليقين والنصر ﴿ويثبت به الأقدام﴾
=

لقد تضمنت هذه الآية الكريمة أربعة من أغراض نزول المطر، وهو التطهير بنوعيه الحسي، والمعنوي، والطمأنينة، والتثبيت، فهو سبحانه أنزل على المؤمنين المطر من السماء ليطهرهم به من الحدثين : الأصغر والأكبر، وهذا التطهير الحسي،ويذهب عنهم رجز الشيطان ووسوسته للمؤمنين، وتخويفه إياهم من العطش وغيره عند فقدهم الماء وإلقاؤه الظنون السيئة في قلوبهم وهذا هو التطهير الباطني،﴿وَلِيَرْبِطَ على قُلُوبِكُمْ﴾ أي: وليقويها بالثقة في نصر الله، وليوطنها على الصبر والطمأنينة . . ولا شك أن وجود الماء في حوزة المحاربين يزيدهم قوة على قوتهم، وثباتاً على ثباتهم، أما فقده فإنه يؤدي إلى فقد الثقة والاطمئنان، بل وإلى الهزيمة المحققة، ورابع هذه الأغراض التي تولدت عن نزول الماء من السماء على المؤمنين ، قبل خوضهم معركة بدر ، يتجلى في قوله تعالى:﴿**وَيُثَبِّتَ بِهِ الأقدام**﴾ حتى لا تسوخ في الرمال، وحتى يسهل المشي عليها ، إذ من المعروف أن من العسير المشي على الرمال، فإذا ما نزلت عليها الأمطار جمدت وسهل السير فوقها، وانطفأ غبارها، فالضمير في قوله ﴿**بِهِ**﴾ يعود على الماء المنزل من السماء[1]، فمعنى الآية : إذ يُلْقي الله عليكم النعاس أمانًا منه لكم من خوف عدوكم أن يغلبكم، وينزل عليكم من السحاب ماء طهورًا،

= وذلك أنهم كانوا قد نزلوا على كثيب تغوص فيه أرجلهم فلبده المطر حتى ثبتت عليه الأقدام".

(١) قال الزمخشري : ويجوز أن يعود للربط - في قوله ﴿وَلِيَرْبِطَ على قُلُوبِكُمْ﴾ ، لأن القلب إذا تمكن فيه الصبر والجراءة ثبت القدم في مواطن القتال .

ليطهركم به من الأحداث الظاهرة، ويزيل عنكم في الباطن وساوس الشيطان وخواطره، وليشدَّ على قلوبكم بالصبر عند القتال، ويثبت به أقدام المؤمنين بتلبيد الأرض الرملية بالمطر حتى لا تنزلق فيها الأقدام(١).

- وبعد : فهذا المطر ينزله الله تعالى وقت حاجة العباد إليه، ويرفعه إذا خيف منه الضرر، وينزله تارة أخرى يعذب به الظالمين، وفي كل ذلك آية تُعرف العبد بخالقه، وربه، فيعرفه بإيصاله النعم إلي خلقه وقت الحاجة والضرورة إليها،وصرفها عن الظالمين، بل إهلاكهم بنفس الأداة، فسبحان الخالق الرازق.

(١) ينظر : تفسير الطبري (١٣ / ٤٢١)، وفتح القدير (٣ /١٥٦)، وتفسير السعدي (١ / ٣١٦)، والتفسير الميسر (٣ / ١٧٩).

المبحث الرابع : أماكن وجود الماء :

أ/ أماكن تواجد هذا الماء بعد نزوله.

إن هذا الماء الذي ينزله الله تعالى من السماء جزء منه يسكن الأرض، وجزء آخر يسلك ينابيع في الأرض، وجزء ثالث يساق أنهارا، وهذا الماء النازل بقدرة الله تعالى إذا كان كثيراً تكونت منه السيول العظيمة التي تسقط إلى الأرض مكونة مياه الآبار، والأنهار، والعيون، والمياه الجوفية، التي نشرب منها، ونسقي زرعنا وأنعامنا، قال الله تعالى :

١ - ﴿ $Z9ø‘R&r B̈ `$9$ ¡¡J$ä B$ä Î)%9 ù'M3ÿ‡ ç»Î’$ öR{ ÇÚ r)R$ ã?4 Œd$ U¤ Î̂ï¾ 9)»‰ãâr b ﴾[المؤمنون: ١٨].

٢ - ﴿ 9&Ñ ?• &b$© &R“A B̈ `$9$ ¡¡J$ä B$ã ù ¡|=3ç¼ f»Y6‹ ì Î † $ öR{ ÇÚ ﴾[الزمر: ٢١].

٣ - ﴿ &R“A B̈ ÆšS$9 ¡¡J$ä B$ã ù ¡|$9M6 &r-Š/ß Î)%‰ f‌d$ ﴾[الرعد: ١٧].

ب/ الأماكن التي تنتفع من نزول الماء عليها، واحتباسه فيها.

من الآيات السابقة يتبين لنا أن الأرض هي المنتفعة من نزول المطر عليها، وليست كلها بل هناك أماكن معينة هي التي تنتفع من نزول المطر عليها وهي الجبال، والجبال المنبسطة، والهضاب، وقد سماها النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أنس بن مالك حيث قال :" جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال يا رسول الله : هلكت المواشي وانقطعت السبل فادع الله فدعا رسول الله صلى الله عليه و سلم فمطروا من

الجمعة إلى الجمعة فجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال يا رسول الله تهدمت البيوت وتقطعت السبل وهلكت المواشي . فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم **(اللهم على رؤس الجبال والآكام**[1] **وبطون الأودية ومنابت الشجر)**، فانجابت عن المدينة انجياب الثوب"[2]. كما جعل الله سبحانه وتعالى من أحوالِ الماء أن ينزَّل من السماء فتكونُ الأرض له كالقيعان، لا تحبسُ ماءً ولا تنبِتُ كلأً، وهذه الحالُ هي السَّنَة التي ذكرها النبيّ صلى الله عليه وسلم بقوله: "إنّ السَّنَة ليس بأن لا يكون فيها مطر، ولكنَّ السّنة أن تمطِر السماء ولا تنبتُ الأرض"[3].

والبركة كل البركة ـ عبادَ الله ـ في نزول المطر الذي تَنبُت به الأرض وتحيي به الموات، كما قال تعالى: ﴿ r&R'Z$ B` $9¡¡ J$ä B$[Û$qY# ÈÑÍÇ ãz sÅ ' Îïä ¾/tS$Z ... B$G$ r$ óÉ<ç¼ B$H $z =Y$ R&è»V$ r&R$ ÅÓ 2YÏZ# ﴾[الفرقان:٤٨، ٤٩].

ولهذا الانتفاع آثار، سيأتي الحديث عنها في المبحث القادم.

---

(١) الآكام جمع أكم وهو جمع أكمة وهي الرابية أي الأرض المرتفعة. مسند الشافعي ترتيب السندي (٥٢١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب الدعاء إذا انقطع السبل(٩٧١) (١ / ٣٤٥)،ومعنى انجابت أي : انكشفت وزالت وقوله انجياب الثوب أي عن الجسم فيعرى وكذلك عريت السماء بعد زوال السحب) وبُطون الأودية ومَنَابت الشجرِ " فانجابتْ عن المدينة انجيابَ الثوب. مسند الشافعي ترتيب السندي (٥٢١).

(٣) مسند الإمام أحمد ،في مسند أبي هريرة رضي الله عنه (٨٧٣٦)(١٨ / ٢٦٧).

المبحث الخامس : أحوال العباد وقت نزول المطر، ووقت انحباسه

أ – بين القنوط، والاستبشار

بيّن الله سبحانه وتعالى حال الناس قبل وبعد نزول المطر، فهم قبل نزوله في غاية الحيرة والقنوط والإبلاس ، لشدة حاجتهم إلى الغيث الذي طال انتظارهم له وتطلعهم إليه دون أن ينزل، وهم عند نزوله في غاية الفرح والاستبشار، فسبحان من حول النفوس بنزول المطر من حالة الحزن إلى حالة الفرح ، وجعل الوجوه مستبشرة بعد أن كانت عابسة يائسة قال الله تعالى :﴿**اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨) وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ[١] لَمُبْلِسِينَ (٤٩) فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [الروم: ٤٨-٥٠] فهؤلاء القوم الذين أصابهم هذا المطر كانوا قَنطين أزلين من نزول المطر إليهم قبل ذلك، فلما جاءهم، جاءهم على فاقة، فوقع منهم موقعا عظيما[٢]، ويقول الطاهر بن

(١) قال الزمخشري في الكشاف (١ /٩٦٨): وقوله ﴿ مِّن قَبْلِهِ ﴾ من باب التكرير والتوكيد ، كقوله - تعالى - : ﴿ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي النار خَالِدِينَ فِيهَا﴾ " ومعنى التوكيد فيه الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد ، فاستحكم يأسهم ، وتمادى إبلاسهم ، فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك "

(٢) ينظر : تفسير ابن كثير (٦ /٣٢٢).

عاشور :" وذكر اختلاف أحوال العباد في وقت نزول المطر وفي وقت انحباسه بين استبشار وإبلاس إدماج للتذكير برحمة الله إياهم وللاعتبار باختلاف تأثرات نفوسهم في السراء والضراء وفي ذلك إيماء إلى عظيم تصرف الله في خلقة الإنسان إذ جعله قابلا لاختلاف الانفعال مع اتحاد العقل والقلب كما جعل السحاب مختلف الانفعال من بسط وتقطع مع اتحاد الفعل وهو خروج الودق من خلاله"[1].

ب -الآثار المترتبة من تكوين المطر ونزوله :

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨) وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ[2] لَمُبْلِسِينَ (٤٩) فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٤٨-٥٠].

تبين لنا الآية الكريمة أن نزول المطر نعمة من الله تعالى ورحمة يرحم به عباده، وقد أمرنا الله تعالى أن ننظر إلى هذه الآثار ، ورحمة الله تعالى هنا هي المطر، والآثار اخضرار الأرض، وألوان الجنات، والثمار، والأشجار،فهو

(١) التحرير والتنوير (١ / ٣٢٥٧).

(٢) قال الزمخشري في الكشاف (١/ ٩٦٨): وقوله ﴿مِّن قَبْلِهِ﴾ من باب التكرير والتوكيد ، كقوله - تعالى - : ﴿ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي النار خَالِدِينَ فِيهَا﴾ " ومعنى التوكيد فيه الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد ، فاستحكم يأسهم ، وتمادى إبلاسهم ، فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك "

نظر مرئي بالبصر، وكذلك يراد به نظر تدبر واستدلال واستبصار وتفكر لأن الآية جاءت في سياق الاستدلال على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى: فمن أعظم تلك الآثار حياة بعد موت، وتظهر هذه الآثار إذا نظرنا إليها في النفوس المستبشرة بعد القنوط ، وفي الأرض المستبشرة بعد الهمود؛ وفي الحياة التي تدب في التربة وتدب في القلوب،﴿ **فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾ فالفاء هنا للدلالة على سرعة الانتقال من حالة اليأس إلى الاستبشار ..وهذا النظر والتدبر يبرهن على قضية البعث والإحياء في الآخرة . على طريقة الاستدلال القرآني، فإحياء الله الأرض بعد موتها برهان قاطع من أعظم الأدلة على البعث بعد الموت؛ لأنه برهان حسي يتجدد بين يدي الناس، ويشاهدون فيه آثار قدرة الله -تعالى- في الإحياء المتجدد؛ ولأن من أخرج النبات وجعل في الأرض من كل زوج بهيج فأحيا الأرض بعد موتها قادر على إحياء الناس بعد موتهم ﴿**إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى**﴾ . . ﴿**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾. وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد: مُروا الناس أن يخرجوا إلى الصحاري أيام الربيع فينظروا إلى آثار رحمة الله كيف يحي الأرض بعد موتها[١] .

(١) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس (١ / ٢١٩)،لأحمد بن يوسف التيفاشي.

المبحث السادس : بيان مُنْزِل هذا الماء.

مطرنا بفضل الله تعالى وحده لا شريك له .

إن هذا الماء لا ينزل نتيجة مصادفة،أو بفعل شحنات كهربائية محضة، أو بفعل غير ذلك، ولكن ينزله الله تعالى، كما أخبرنا، قال جل شأنه: [illegible]

[الحج:٦٣]، وإضافة نزول المطر ، وما يصحبه من عوامل الرياح، والبرد، وغير ذلك إلى غير الله تعالى كالأنواء كفر بالله تعالى[1]،وكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية، وجاء القرآن في عدة آيات منه بتخليص العقيدة من أدران الشرك، إذ لا مؤثر في الكون إلا الله تعالى، مع علمنا بأنه سبحانه يخلق الأسباب التي ينعقد بها هذا التأثير، وتأثير هذه الأسباب هي داخلة في مشيئة الله تعالى، قال جل ذكره : [illegible]

[illegible]

---

(١) المراد بالكفر هنا الكفر الأصغر، فهو يصدر عن الكفار بسبب نسبة ذلك إلى غير الله وكفران نعمته، وإن كان يعتقد أن الله تعالى هو الخالق للمطر المنزل له بدليل قوله في الحديث:"فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته ٠٠" إلى آخره، فأتى بباء السببية ليدل على أنهم نسبوا وجود المطر إلى ما اعتقدوه سببا.ينظر : تيسير العزيز الحميد، شرح كتاب التوحيد (٢٣٦).

$‹R‰9$Î¤‹ s9$ Ó© $Z¢Ò) ë$B Ñã$Å_ N3ã$Ÿ N3ã$ƒÏ NÎ$J‾ Ä$Ö¢ Ò? qè¿Jè? šc ﴾ [يونس: ٢٢-٢٣]، وفي الحديث عن زيد بن خالد الجهني أنه قال :" صلى لنا رسول الله صلى الله عليه و سلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة فلما انصرف النبي صلى الله عليه و سلم أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب وأما من قال بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب"[1] .

إذن لننسب الفضل له، فما مطرنا إلا بفضل الله ورحمته ولا نقول ما قال الأبعد حين سمع قول الله تعالى: ﴿ ö@è% & Lä‘ä÷ƒu‘& ÷bÎ) yxt6ô¹r& ö/ä.ät!$B #Yöqîx ` Jù ‹Ï?ù'tƒ ä!$yJÎ/ &ûüÏè¨B ﴾[تبارك: ٣٠]، ولربما قال قائل: تأتي به الفؤوس والمعاول، نقـول: لا يـأتي بـه إلا الله وحـده سـبحانه، فهـو القائـل جـل في عـلاه: ﴿وأسقيناكم ماءً فراتاً﴾، والقائـل سـبحانه: ﴿ ö@ÝàZu‹ù=sù ß`»|¡RM}$# 4'n<Î) ÿ¾ÏmÏB$yèsÛ $¯Rr& $uZö7t7|¹ uä!$yJø9$# ${7|¹ ¢OèO $uZø)s)x© uÚö‘F{$# $y)x© ÇËÏÈ $uZ÷Fu;/Rr'sù $ygŠÏù ${7ym ÇËÐÈ $Y6uZÏãur $Y7ôÒs%ur ÇËÑÈ $ZRqçG÷ƒy—ur Wx÷‚tRur ÇËÒÈ t,ͬ!#y‰tnur $Y6ù=äñ ÇÌÉÈ Zpygr»sùur $|/r&ur ÇÌÊÈ $Yè»tG¨B ö/ä3©9 ö/ä3ÏJ»yè÷RL{ur ÇÌËÈ ﴾[عبس: ٢٤-٣٢]،فوالله لولا الله ما سقينا ولا تنعّمنا بما أوتينا ﴿ ö/ä3Ïj‹Ïr& $B LëtÏä•ù& ÷Pr& tbqè=øÉZßJø9$# ß`øtwU ÷Pr& tbqä9ÍZßJø9$# ÇÏÒÈ qèd $Z»y_é& çm»oYù=yèy_ âä!$t±nS qs9 tbrãà6ô±n@ Ÿwöqn=sù ÇÐÉÈ ﴾

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء ، باب غزوة الحديبية (٩٩١)(٤/١٥٢٤).

﴿šc rãâê@ Ÿwöq=ù%[`%`éq»Ztè_ âS±Sö9﴾[الواقعة:٦٣-٦٩][1].

(١) اللهم لك الشكر على آلائك التي لا تعد ولا تحصى، اللهم لو شئت لجعلت ماءنا أجاجاً، ولكن رحمتك أدركتنا فجعلته عذباً زلالاً، فمنك ماؤنا، ومنك طعامنا فلك الشكر لا نحصي ثناءً عليك﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ إن الله عزيز غفور﴾،اللهم فارزقنا الخشية منك. اللهم اجعلنا من العلماء أهل الخشية منك. ﴿**أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجُرُز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون**﴾.

المبحث السابع : الأسباب الموجبة لنزول المطر :

إن طاعة الله تعالى على العموم سبب للرِّزق[1]، وخاصة الأمطار، وقد دلت على ذلك آيات القرآن الكريم، فمنها قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القرى آمَنُواْ واتقوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السمآء والأرض﴾ [الأعراف : ٩٦]، ومن بركات السماء المطر ومن بركات الأرض : النبات مما يأكل الناس والأنعام .

وذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أن أهل الكتاب لو أطاعوا الله، وأقاموا كتابهم بإتباعه، والعمل بما فيه، ليسّر الله لهم الأرزاق وأرسل

(١) قال سيد قطب- رحمه الله تعالى- في ظلال القرآن(٧/٣٤٦-٣٤٧) : "وهذه القاعدة التي يقررها القرآن في مواضع متفرقة، قاعدة صحيحة تقوم على أسبابها من وعد الله، ومن سنة الحياة؛ كما أن الواقع العملي يشهد بتحققها على مدار القرون. والحديث في هذه القاعدة عن الأمم لا عن الأفراد. وما من أمة قام فيها شرع الله ، واتجهت اتجاهاً حقيقياً لله بالعمل الصالح والاستغفار المنبئ عن خشية الله . . ما من أمة اتقت الله وعبدته وأقامت شريعته ، فحققت العدل والأمن للناس جميعاً ، إلا فاضت فيها الخيرات ، ومكن الله لها في الأرض واستخلفها فيها بالعمران وبالصلاح سواء .ولقد نشهد في بعض الفترات أمماً لا تتقي الله ولا تقيم شريعته؛ وهي مع هذا موسع عليها في الرزق ، ممكن لها في الأرض، ولكن هذا إنما هو الابتلاء : ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ ثم هو بعد ذلك رخاء مؤوف ، تأكله آفات الاختلال الاجتماعي والانحدار الأخلاقي، أو الظلم والبغي وإهدار كرامة الإنسان". أقول: هذه القاعدة تصح على الأفراد كذلك، وقد يلحظ أن الله تعالى يرزق المؤمن العاصي، والكافر على حد سواء، بل قد يكون مقدار الرزق لغير المؤمن أكبر وأكثر، لكن الفارق في ذلك أمران هما : البركة في الرزق، والرضى به ولو قلَّ، وهذا لا يوجد عند الكافر، والعاصي الَذين يحبان المال حباً جماً، والآية المذكورة تدل على ذلك (ولو أن أهل القرى آمنوا٠٠٠).الآية .

عليهم المطر، وأخرج لهم ثمرات الأرض قال الله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التوراة والإنجيل وَمَآ أُنزِلَ إِلَيهِمْ مِّن رَّبِّهِـمْ لأَكَلُـواْ مِـن فَـوْقِهِمْ وَمِـن تَحْـتِ أَرْجُلِهِم** ﴾ [المائدة : ٦٦].

وبين في مواضع أُخَر أن ذلك ليس خاصّاً بهم ، كقوله عن نوح- عليه الصلاة والسلام- وقومه:﴿**فَقُلْتُ استغفروا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَـانَ غَفَّـاراً يُرْسِـلِ السمآء عَلَيْكُمْ مِّدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـاتٍ وَيَجْعَـل لَّكُمْ أَنْهَارا**﴾[نوح : ١٠-١٢]، وقوله عن هود- عليه الصلاة والسلام- وقومه : ﴿**وياقوم استغفروا رَبَّكُمْ ثُمَّ توبوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السمآء عَلَيْكُمْ مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إلى قُوَّتِكُم**﴾[هود : ٥٢]، وقوله عن نبينا عليه الصلاة والسلام وقومه ﴿**وَأَنِ استغفروا رَبَّكُمْ ثُمَّ توبوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَّتَاعاً حَسَناً إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى** ﴾[هود : ٣]، ومن المتاع الحسن : المطر، وقال عز وجل:﴿**وَأَلَّوِ استقاموا عَلَى الطريقة لأَسْقَيْنَاهُم مَّآءً غَدَقاً**﴾[الجن:١٦].

ففي الآيات السابقة ربط ظاهر بين صلاح القلوب واستقامتها على هدى الله، وبين تيسير الأرزاق، وعموم الرخاء، وربط بين الاستغفار وهذه الأرزاق مما يدل على أن الاستغفار على الخصوص يستنزل به الرزق والأمطار، وفيها بيان لوعد الله تعالى المستغفرين بالرزق الكثير على لسان نبيه نوح، وهود، ومحمد -عليهم الصلاة والسلام- فالاستغفار من أعظم الأسباب الموجبة لنزول الأمطار الغزيرة، قال الشعبيّ : "خرج عمر بن الخطاب يستسقي، فما زاد على الاستغفار، ثم رجع فقالوا: يا أمير المؤمنين

ما رأيناك استسقيت، فقال: لقد طلبت المطر بمجاديح[1] السماء التي يستنزل بها المطر، ثم قرأ ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا**﴾، وقرأ الآية التي في سورة هود حتى بلغ: ﴿**وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ**﴾"[2].

كما أن فيها دليلاً على أن معصية الله تعالى سبب لنقيض ما يستجلب بطاعته[3].

---

(١) مجاديح جمع مِجْدَح، وهو نجم من النجوم، وهو عند العرب من الأنواء الدالَّة على المطر، فجعل الاستغفار مشبَّهاً بالأنواء، مخاطبةً لهم بما يعرفونه، لا قولاً بالأنواء التي يزعمون أن من شأنها المطر.ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١/ ٧٠٠).

(٢) الأثر أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٤٩٠٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٤٧٤)، والطبري في تفسيره (٢٣/ ٦٣٣)، وقال الحافظ في الكافي الشاف ص ١٧٧ :"رجاله ثقات إلا أنه منقطع".

(٣) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن (٦ / ١٧).

الخاتمة :

بعد رحلة قرآنية سريعة للبحث في موضوع المطر من خلال دلالات آياته القرآنية في مواردها، ومن خلال سياقاتها، يمكن استخلاص النتائج الآتية:

١ - المطر رحمة ينزله الله تعالى من السماء لأجل العباد، والبلاد، والبهائم، وكما ينزل الرحمة فهو سبحانه ينزل العذاب أيضا.

٢ - أن هذا الماء النازل لسقيا الإنسان، والحيوان، والنبات، جزء منه يسكن الأرض، وجزء آخر يسلك ينابيع، وجزء ثالث يساق أنهارا.

٣ - تحدث القرآن عن أنواع المياه بدقة فائقة وصنفها بما يتناسب مع درجة نقاوتها، فالقرآن يسمي الماء المقطر وهو ماء المطر بالماء الطهور ويسمي الماء العذب الذي نشربه من الأنهار والآبار بالماء الفرات، ويسمي ماء البحر الذي يحتوي على نسبة عالية من الملوحة بالماء الأجاج، وقد ثبُت علمياً الفوارق الكبيرة بين هذه الأنواع.

٤ - من أسرار التعبير القرآني خصوصيات الاستعمال القرآني للألفاظ.

٥ - الماء النازل من السماء نعمة عظيمة على أهل الأرض جميعاً، وقد ذكر بهذا المعنى في القرآن الكريم في تسع وعشرين مرة، وقد تناولت هذه المواضع موضوعات عديدة، ودلالات متنوعة : كإخراج أنواع الثمرات وتعدد أصناف الخلق، وإحياء الأرض بعد موتها، والبعث وبيان حقيقة الحياة الدنيا.

٦- تنوع أغراض نزول المطر ما بين ضرب المثل به، والإحياء، والنقم والعذاب، والنعم والامتنان.

٧- أن الله تعالى هو بفضله ينزل المطر، وهذا فيه إبطال لدعوة الكفار في نسبة نزوله إلى الأنواء.

٨- الإصابة بالمطر، والصرف أبلغ في المنفعة والامتنان للعباد.

٩- أن المطر له أسماء، وأوصاف مذكورة في القرآن الكريم، وكل تسمية أو وصف فهو باعتبار معنى من معاني هذا الماء النازل من السماء.

١٠-أن طاعة الله على العموم، والاستغفار على الخصوص من أعظم الأسباب الموجبة لنزول المطر.

١١-معصية الله تعالى من أهم أسباب حرمان نزول المطر.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

فهرس المصادر والمراجع

١ - أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، اعتنى به : محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

٢ -التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

٣- تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل عمر ابن كثير الدمشقي، أبو الفداء، مؤسسة الريان، بيروت، ط٤، ١٤١٨هـ.

٤ - تفسير أبي حيان = البحر المحيط ، لمحمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

٥ - تفسير أبي السعود= إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لمحمد محمد بن مصطفى أبو السعود العمادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

٦ - تفسير البيضاوي، وهو مطبوع مع حاشية الشهاب على البيضاوي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٧- تفسير الرازي = مفاتيح الغيب، لفخر الدين محمد بن عمر الرّازي، دار إحياء التراث العربي، ط٣.

٨- تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد

الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: محمد النجار، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية بالرياض.

٩- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ.

١٠- تفسير القرآن الكريم، لمحمد بن صالح العثيمين، دار الجوزي، ط١، ١٤٢٣هـ.

١١- تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ.

١٢- التفسير الميسر، لعائض القرني، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٧هـ =٢٠٠٦م.

١٣- تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحدائق التأويل، لعبد الله بن أحمد النسفي، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٤- تهذيب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١٥- تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ت: عادل سعد، النشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.

١٦- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر البغدادي، مطبعة بولاق، ١٢٩٩هـ.

١٧ - الدر المنثور في التفسير المأثور، لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
١٨ - ديوان امرئ القيس، تقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، ١٩٥٨م.
١٩ - زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢٢هـ =٢٠٠١م.
٢٠ - سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، لأبي العباس أحمد بن يوسف التيفاشي، تهذيب: محمد بن جلال الدين (ابن منظور)، تحقيق : إحسان عباس، نشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ط١، ١٩٨٠م.
٢١ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، ط١، ١٣٧٦هـ.
٢٢ - صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق : مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
٢٣ - صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٤ - فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية، لمحمد بن علي الشوكاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي أولاده، مصر، ط٢، ١٣٨٣هـ.
٢٥ - في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق، ١٤٠٠هـ =١٩٨٠م.
٢٦ - لسان العرب، لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، دار صادر، بيروت،ط٣، ١٤١٤هـ.

٢٧ - مسند الإمام أحمد بن حنبل، بيروت، المكتب الإسلامي للطباعة النشر.
٢٨ - مسند الشافعي ترتيب السندي، لأبي عبد الله إدريس الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٨ - المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢،١٤٠٣هـ.
٢٩ - معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، نشر: اتحاد الكتّاب العرب، مصر، ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.
٣٠ - مفتاح دار السعادة، لابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣١ - مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ.
٣٢ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين البقاعي، دار الأندلس، بالتعاون مع دائرة المعارف الإسلامية، ط١، ١٣٩٦هـ.
٣٣ - النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تعليق: عبد المقصود بن عبد الرحيم، نشر: مؤسسة الكتب الثقافية، ودار الكتب العلمية، بيروت.
٣٤ - الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي الحسن الواحدي، تحقيق: صفوان داوودي، نشر: دار القلم، والدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
٣٥ - الوسيط لسيد طنطاوي، المكتبة الشاملة الإلكترونية.